

الدَّارُ الْآخِرَةُ

(٤٤)

أَيُّ الصَّنَفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!!

للشيخ / ندا أبو أحمد



الدَّارُ الْآخِرَةُ

أَيُّ الصِّفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!

M

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ تَعَالَى نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شَرِّ رَأْسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.....

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [سورة النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } { ٧٠ } { يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى . وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الله تعالى لم يخلق الناس عبثاً، ولن يتركهم سدى، قال تعالى: **{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } { ١١٥ } { فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } { المؤمنون: ١١٥-١١٦ }**
وقال تعالى: **{ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } { القيامة: ٣٦ }**

فهل يظن عاقل أن يُتْرَكَ الإنسان في هذه الدنيا لا يُؤمر ولا يُنهى، ويُتْرَكَ في قبره سدى دون أن يُبْعَث؟ ويُتْرَكَ في الآخرة دون أن يُحَاسَب؟! إن ذلك لا يليق بحكمة الله، فكل شيء يصدر منه سبحانه له حكمة تقتضيه.

وتقتضي حكمة الله وعدله أن يبعث الله عباده ليجزيهم بما قدموا، فأنه خلق الخلق لعبادته، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب لبيان الطريق الذي يعبدونه به، فمن العباد من استقام على طاعة الله، وبذل نفسه وماله في سبيل ذلك، ومنهم من رفض الاستقامة على طاعة الله، وطغى وبغى، قال تعالى:

{ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ } { آل عمران: ١٥٢ } بعد ذلك أن يموت الصالح والطالح ولا يجزي الله المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؟ **{ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } { ٣٥ } { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } { القلم: ٣٥-٣٦ }**

إن الكفرة الضالين هم الذين يظنون أن الكون خلق عبثاً وباطلاً لا لحكمة، وأنه لا فرق بين مصير المؤمن المصلح، والكافر المفسد، ولا بين مصير التقي والفاجر **{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } { ٢٧ } { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } { ص: ٢٧-٢٨ }.**

إذا الاستدلال باختلاف أحوال الناس في هذه الحياة على فعل الخير والشر والصلاح والفساد، يدل على وجود حياة أخرى يُجْزَى فيها كل عامل بما قدّم من خير أو شر، فليس من العدل أن يموت الظالم والمظلوم دون حساب ولا جزاء، فلا بد من عودة الحياة ليُجْزَى كل إنسان بما عمل من خير أو شر، وترد الحقوق إلى أهلها، ويقتص من الظالمين، ويجازى المؤمنين بأعمالهم، كما يحاسب الكافرين على كفرهم، والعصاة على عصيانهم.

قال تعالى: **{ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الخُلُقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } { يونس: ٤ } . ١٥١**

(القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر ٣ بتصرف واختصار)

أحبي في الله... كان الناس متساوون في الدنيا ظاهرياً، سواء المؤمن والكافر، والصالح والطالح؛ فهم يرزقون ويسيروا ويذهبون ويجيئون، والله **أ** يعطي فيها المؤمن والكافر، والعاصي والمطيع؛ لأنه سبحانه يعطيها لمن يحب ولمن لا يحب، لكن عندما ينزل بهم الموت لا يستوي المؤمن والكافر، ولا المحسن والمسيء، ففي هذه اللحظة، لحظه خروج الروح يظهر الفرقان، ويفترق الطريقان، ويمتاز الفرقان.

وصدق الله U حيث قال: { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً

مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } [الجنابة: ٢١]

فتعال أنا وأنت لنرى حال من خالف مولاه واتبع هواه، وحال من اتبع مولاه وخالف هواه، وقبل الحديث عن هذين الصنفين نلاحظ في كثير من الآيات القرآنية أن رب البرية يقابل بين نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار، وهذا له وقع في القلب وتأثير على النفس،

قال تعالى: { مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ } [محمد: ١٥]

وقال تعالى: { مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ } [الرعد: ٣٥]

وقال تعالى: { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ } ٢ { عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ } ٣ { تَصَلَى نَارًا حَامِيَةً } ٤ { تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ } ٥ { لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ } ٦ { لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ } ٧ { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ } ٨ { لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ } ٩ { فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ } ١٠ { لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ } ١١ { فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ } ١٢ { فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ } ١٣ { وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ } ١٤ { وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ } ١٥ { وَزَرَائِبٌ مُبْنُوثةٌ } [الغاشية: ٢-١٦]

وقال تعالى: { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } ١٠٦ { وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [آل عمران: ١٠٦ - ١٠٧]

وقال تعالى: { أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَمَا أُوهِجَهُمْ وَبَسَّ الْمَصِيرُ } ١٦٢ { هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرِبِ مَا يَعْمَلُونَ } [آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣]

وقال تعالى: { وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ { ٢٧ } فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ { ٢٨ } وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ { ٢٩ } وَظِلِّ مَمْدُودٍ { ٣٠ } وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ { ٣١ } وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ { ٣٢ } لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ { ٣٣ } وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ { ٣٤ } إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً { ٣٥ } فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا { ٣٦ } غُرُبًا أَتْرَابًا { ٣٧ } لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ { ٣٨ } ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى { ٣٩ } وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ { ٤٠ } وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ { ٤١ } فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ { ٤٢ } وَظِلِّ مِّنْ يَّحْمُومٍ { ٤٣ } لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ { ٤٤ } إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ { ٤٥ } وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ { ٤٦ } وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ { ٤٧ } أَوْ آبَاؤُنَا الْأُولَى { ٤٨ } قُلْ إِنَّ الْأُولَى وَالْآخِرِينَ { ٤٩ } لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ { ٥٠ } ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ { ٥١ } لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ { ٥٢ } فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبَطُونُ { ٥٣ } فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ { ٥٤ } فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ { ٥٥ } هَذَا نَزَلُوهُمْ يَوْمَ الدِّينِ { الواقعة: ٢٧ - ٥٦ }

وقال تعالى: { فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ { ٣٣ } يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ { ٣٤ } وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ { ٣٥ } وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ { ٣٦ } لِكُلِّ أُمَّرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ { ٣٧ } وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ { ٣٨ } ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ { ٣٩ } وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ { ٤٠ } تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ { ٤١ } أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ { عيس: ٣٣ - ٤٢ }

وقال تعالى: { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ { ٢٢ } إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ { ٢٣ } وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٌ { ٢٤ } تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ { القيامة: ٢٢ - ٢٥ }

وقال تعالى: { يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ { ١٠٥ } فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ { ١٠٦ } خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ { ١٠٧ } وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ { هود: ١٠٥ - ١٠٨ }

وصدق الله حيث قال: { لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } [الحشر: ٢٠]

وعلى نهج القرآن نسير، ففي هذه الرسالة أعقد مقارنة بين أهل السعادة الذين يريدون الآخرة، وأهل الشقاء الذين رضوا بالدنيا منذ اللحظة الأولى لخروج الروح، وانتهاءً بنزول كل منهما مثواه الأخير؛ لترى أخي الحبيب مدى النعيم المقيم الذي يتنعم فيه أهل السعادة، وترى كذلك مدى العذاب الأليم الذي يلقاه أهل الشقاء، ولتعتقد مقارنة بينهما، وتختار أَيُّ الصَّنَفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!

أولاً: خروج الروح

• الصنف الأول: أهل السعادة

١) **تُسَلِّمُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ خُرُوجِ أَرْوَاحِهِمْ وَتُبَشِّرُهُم بِالْجَنَّةِ:**

قال تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: ٣٢]

طيبة نفوسهم بلقاء الله، ومعافين من الكرب وعذاب الموت، يقولون: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ}؛ طمأنة لقلوبهم، وترحيباً بقدمهم {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}؛ تعجيلاً لهم بالبشرى، وهم على أعتاب الآخرة؛ جزاء وفاقاً على ما كانوا يعملون. (الظلال: ٤/٢١٦٩)

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ

تُوعَدُونَ} {٣٠} نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ} [فصلت: ٣٠-٣١]

وقوله تعالى: {نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار:

"نحن كنا أوليائكم، أي: قرناؤكم في الحياة الدنيا، نُسَدِّدُكُمْ وَنُؤَفِّقُكُمْ وَنَحْفَظُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وكذلك نكون معكم في الآخرة، نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنت النعيم".

٢) **تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنَ الْجَنَّةِ:**

فقد أخرج الإمام أحمد عن البراء بن عازب **t** أن النبي **r** قال:

"إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَ مِنَ الْآخِرَةِ؛ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنَ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ (١) مِنَ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلِكُ الْمَوْتِ **ا** حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ - وَفِي رِوَايَةٍ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ - اخْرُجِي إِلَى مَغْفَرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السَّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا".

(١) حنوط: بفتح الحاء، ما يُخْلَطُ مِنَ الطَّيِّبِ لِأَكْفَانِ الْمَوْتَى وَأَجْسَامِهِمْ خَاصَّةً.

٣) تَبَشَّرَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ، وَلِقَاءِ الرَّبِّ وَهُوَ غَيْرُ غَضْبَانَ:

فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **t** عَنِ النَّبِيِّ **r** قَالَ:

"إِنَّ الْمَيِّتَ يَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحَ، قَالُوا: أَخْرِجِي أَيْتَهَا النَّفْسَ الطَّيِّبَةَ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، أَخْرِجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيْحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، قَالَ: فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فَلَانٌ؛ فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا بِالرُّوحِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيْحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، قَالَ: فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ؛ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ U"

٤) تَخْرُجُ أَرْوَاحُهُمْ كَأَطْيَبِ رِيْحٍ مَسَكَ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ:

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢٨٤/١٣) وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ فِي "الْحَلِيَّةِ" عَنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ **t** قَالَ: "تَخْرُجُ رُوحُ الْمُؤْمِنِ وَهِيَ أَطْيَبُ رِيْحًا مِنَ الْمَسْكَ، فَتَصْعَدُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَهَا، فَتَلْقَاهُمْ مَلَائِكَةُ دُونَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانٌ وَيَذَكِّرُونَهُ بِأَحْسَنِ عَمَلِهِ، فَيَقُولُونَ: حَيَّاكُمْ اللَّهُ وَحَيَّا مَنْ مَعَكُمْ، فَتُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَيُصْعَدُ بِهِ، مِنَ الْبَابِ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ عَمَلُهُ مِنْهُ؛ فَيَشْرِقُ وَجْهَهُ فَيَأْتِي الرَّبَّ، وَلَوْجْهَهُ بَرَهَانٌ مِثْلُ الشَّمْسِ"

٥) تَقْبِضُ أَرْوَاحُهُمْ فِي حَرِيرَةٍ:

فَقَدْ أَخْرَجَ الْبَزَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **t** عَنِ النَّبِيِّ **r** قَالَ

"إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا احْتَضَرَ؛ أَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِحَرِيرَةٍ فِيهَا مَسْكٌ وَضَبَائِرُ رِيْحَانٍ، فَتُسَلُّ رُوحَهُ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ، وَيُقَالُ: أَيْتَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ أَخْرِجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكَ، إِلَى رُوحِ اللَّهِ تَعَالَى وَكِرَامَتِهِ، فَإِذَا خَرَجَتْ رُوحَهُ، وَوَضِعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْمَسْكَ وَالرِّيْحَانِ، وَطُوِيَتْ عَلَى الْحَرِيرَةِ، وَذُهِبَ بِهِ إِلَى عَلِيِّينَ".

١) **تنادي عليهم الملائكة بأحسن أسمائهم التي كانوا يُنادون بها في الدنيا:**

فقد أخرج النسائي في "المجتبى والكبرى" وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله ﷺ: "إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضياً عنك، إلى روح الله تعالى وريحان، ورب غير غضبان؛ فتخرج كأطيب ريح المسك؛ حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً، فيُسْمُونَهُ بأحسن الأسماء له؛ حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح، التي جاءت من الأرض؟! كلما أتوا سماءً، قالوا: ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين، فهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قدم، فيسألونه: ما فعل فلان؟ فيقولون: دعوه حتى يستريح، فإنه كان في غم الدنيا، فيقول: قد مات، أما أتاكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية"

(قال الألباني في "الصحيحة" (٢٩٣/٣): "صحيح الإسناد"، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين")

• الصنف الثاني: أهل الشقاء

١) **عند قبض أرواحهم تضربهم الملائكة على وجوههم وأدبارهم بمقامع من حديد:**

قال رب العالمين واصفاً حال خروج روح العصاة والكافرين: { **وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** } { ٥٠ } { **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** } [الأنفال: ٥٠ - ٥١]

٢) **وتأتيهم الملائكة في صورة مخيفة، وتقبض أرواحهم في مسوح:**

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن البراء بن عازب **t** أن النبي ﷺ قال: "وإن العبد الكافر - وفي رواية: الفاجر - إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة؛ نزل إليه من السماء ملائكة [غلاظ شداد]، سود الوجوه معهم المسوح^(١) [من النار]، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول، أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود^(٢) [الكثيرُ الشعب] من الصوف المبلول، فتقطعُ معها العروقُ والعصبُ".

(١) المسوح: جمع المسح (بكسر الميم)، وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن؛ تفشفاً وقهراً للبدن.

(٢) السَّفُودُ والسَّفُودُ: حديدة ذات شُعَبٍ مُعَقَّفَةٌ - أي ملتوية معوجة يشوى به اللحم.

٣) تَبَشَّرَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِمَا يَسُوءُهُمْ:

فقد أخرج ابن ماجه والإمام أحمد من حديث أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله **r**:
"وإذا كان الرجل السوء قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث،
اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج^(١)، فلا يزال يُقال لها ذلك
حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فلا يفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال:
لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة؛ فإنها لا تفتح لك أبواب
السماء، فيُرسلُ بها من السماء ثم تصير إلى القبر".
(حسنه الألباني في "تخريج المشكاة": ١٦٢٨)

٤) تخرج أرواحهم كأنتن جيفة وُجِدَت على وجه الأرض:

فقد أخرج النسائي وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله **r**:
"وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بِمِسْحٍ^(٢)، فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطاً
عليك؛ إلى عذاب الله **U**، فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون:
ما أنتن هذه الريح، حتى يأتون به أرواح الكفار".
(السلسلة الصحيحة: ٣/٢٩٤)

- وعند مسلم من حديث أبي هريرة **t** أيضاً أن النبي **r** قال:

"وإن الكافر إذا خرجت رُوحُهُ - قال حماد^(٣): وذكر من ننتها، وذكر لعناً - ويقول أهل
السماء: روح خبيثة جاءت من قِبَلِ الأرض، قال: فيُقالُ: انطلقوا به إلى آخر الأجل^(٤)"
قال أبو هريرة **t**: فردَّ رسول الله **r** رِبْطَةً^(٥) كانت عليه على أنفه هكذا.

(١) وآخر من شكله أزواج: أي وأشياء من هذا القبيل، وصور آخر من صور العذاب على هذه الشاكلة.

(٢) المِسْحُ: كساء من شعر، وقد مرَّ بنا معناه.

(٣) هو حماد بن زيد (راوي الحديث).

(٤) "إلى آخر الأجل": أي إلى "سَجِّين"، فهي منتهى الأجل، ويحتمل أن المراد: إلى انقضاء أجل الدنيا. (قاله القاضي كما في "شرح مسلم": ٢٠٥/١٧).

(٥) قال النووي: "الرِبْطَةُ": هي ثوب رقيق، وقيل: هي ملاءة، وكان سبب ردِّها على الأنف؛ بسبب ما ذكر من ننت ريح روح الكافر.

هـ) تنادي عليهم الملائكة بأقبح أسمائهم:

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد: "إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة... إلى أن قال النبي ٣: فيصعدون بها فلا يمرُّون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: لفلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا؛ حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا؛ فيُستفتح له فلا يُفتح له، ثم قرأ رسول الله ٣: {لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} [الأعراف: ٤٠]"

وقفة: فلماذا ولغيره تجد أن المؤمن عند خروجه يحب لقاء الله، أما الكافر الفاجر عند خروج روحه فلا يحب لقاء الله

فقد أخرج البخاري عن عبادة بن الصامت **t** عن النبي ٣ قال:

"مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ؛ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ؛ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتَ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبُّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبُّ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعَقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَكْرَهُ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكْرَهُ اللَّهُ لِقَاءَهُ"

فانظر بعيني قلبك إلى حال الصنفين: صنف تُسَلَّمُ عليه الملائكة عند خروج روحه وتُبَشِّرُهُ بِالْجَنَّةِ، وتأتيه في صورة حسنة معهم كفن من الجَنَّةِ وحنوط من الجَنَّةِ، وتُبَشِّرُهُ الملائكة بالروح والريحان ولقاء الرب وهو غير غضبان، وتخرج روحه كأطيب ريح مسك وجدت على وجه الأرض، وتقبض روحه في حريرة، وتتادي عليه الملائكة بأحسن أسمائه التي كان يُنادَى بها في الدنيا... وهناك صنف آخر من الناس تضرب الملائكة وجهه ودبره عند قبض روحه من مقامع من حديد، وتأتيه الملائكة في صورة مُخِيفَةٍ، وتُبَشِّرُهُ بما يسوءه، وتخرج روحه كأنتن جيفة وُجِدَتْ على وجه الأرض، وتقبض روحه في مسوح، وتتادي عليه الملائكة بأقبح أسمائه التي كان يُنادَى بها في الدنيا. **فَأَيُّ الصَّنِيفِينَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!**

ثانياً: حمل الجنازة على الأعناق

في هذا الموقف العصيب ينقسم الناس فيه أيضاً إلى صنفين، جاء ذكرهما في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري **t** قال: قال رسول الله ٣:

"إِذَا وَضِعَتِ الْجَنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدَمُونِي قَدَمُونِي وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ ذَلِكَ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهُ لَصَعِقَ"

فَأَيُّ الصَّنِيفِينَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟! هذا الذي يقول: قدموني قدموني لما يرى من الكرامة، أم هذا الذي

يصرخ ويقول: " يا ويلها أين تذهبون بها؟ لما يرى من العذاب الذي ينتظره"

ثالثاً: دخول القبر

١ - كلام القبر لابن آدم:

تخيل أخي الحبيب... إذا وضعك أبناؤك وأحباؤك في قبرك، وأغلقوا عليك فأحكموا الإغلاق، ثم تركوك وحيداً وانصرفوا عنك، وأنت تسمع قرع نعالهم، ذهبوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، تركوك في هذا الجو المخيف المفزع، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرجت يدك لم تجد تراها، ظلمة مخيفة، سكون قاتل، جو موحش، وفي هذا الجو الموحش، والسكون القاتل، والظلمة المخيفة، تجد مَنْ يُحَدِّثُكَ وَيُكَلِّمُكَ، يا له من هول يشيب له الولدان، مَنْ المتكلم؟ إنه القبر... فإذا كان العبد صالحاً قال له القبر: مرحباً وأهلاً، وإذا كان عاصياً قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً.

فقد أخرج الترمذي بسند فيه مقال عن أبي سعيد الخدري **t** قال:

"دخل رسول الله ﷺ مُصَلَّاهُ، فرأى ناساً كأنهم يكتشرون^(١)، قال: أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى، فأكثروا من ذكر هادم اللذات - الموت - فإنه لم يأت على القبر يوماً إلا تكلم فيه، يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحباً وأهلاً، أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إلى فإذا وليتكَ اليوم وصرت إلي؛ فسترى صنيعي بك. قال: فيتسع له مدٌّ بصره، ويفتح له باب إلى الجنة.

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر، قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً، أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلي، فإذا وليتكَ اليوم وصرت إلي؛ فسترى صنيعي بك..." الحديث

(ضعيف الجامع: ١٢٣١)

وأخرج ابن المبارك بسند صحيح في "زوائد الزهد" لنعيم عن أسيد بن عبد الرحمن **r** قال: "بلغني أن المؤمن إذا مات وحمل قال: أسرعوا بي، فإذا وُضِعَ في لحدّه كَلَّمْتَهُ الأَرْضُ فقالت له: إن كنت لأحبك وأنت على ظهري، فأنت الآن أحب إلي، فإذا مات الكافر وحمل قال: ارجعوا بي، فإذا وُضِعَ في لحدّه كَلَّمْتَهُ الأَرْضُ فقالت: إن كنت لأبغضك وأنت على ظهري فأنت الآن أبغض إلي"

فَأَيُّ الصَّنِيفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونِ؟! (١)

(١) يكتشرون: يضحكون، والكشر ظهور الأسنان للضحك.

٢ ضَمَّةُ الْقَبْرِ:

بينما الإنسان ممّا في هذه الدهشة وتلك الرهبة، لم يستفّق من هذه الكربة وهذا الهول وإذ بداهية أخرى تقع به حيث يجد جدران القبر تتحرك وتتقارب عليه، ويضيق القبر حتى يضمّه ويضغط على جانبيه، وهذه الضغطة لا ينجو منها أحدٌ، صالحاً كان أو عاصياً، صغيراً كان أو كبيراً.

فقد أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن عائشة **i** أن رسول الله **r** قال:

"إن للقبر ضغطةً لو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ" (صحيح الجامع: ٢١٨٠)
سبحان الله...!!

سعد بن معاذ **t** الذي قال عنه النبي **r** كما عند النسائي من حديث ابن عمر **k**:
"هذا الذي تحرّك له العرش، وفُتِحَتْ له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة،
لقد ضمّ ضمّةً ثم فرّج عنه"
(قال الألباني في "مشكاة المصابيح": إسناده صحيح)

وفي هذا الموقف العصيب ينقسم الناس فيه إلى صنفين، أخبر عنهما النبي **r**
ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن حبان بسند حسن عن أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله **r**:
"إذا قُبر الميت . أو قال: أحدم . أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما:
المنكر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد
الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول
هذا. ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم يُنور له فيه، ثم يُقال له: نم. فيقول:
أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يُوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى
يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا
أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض التثمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف
أضلاعه، فلا يزال فيها مُعذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك"

فصنف من الناس يُفسح له في قبره مد البصر، أو سبعون ذراعاً، وصنف آخر يُضيق عليه القبر حتى
تختلف أضلاعه.

فَأَيُّ الصَّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!

٣- سؤال الملكين:

فقد جاء في "مسند الإمام أحمد" في حديث طويل عن البراء بن عازب **t** وفيه: أن النبي **r** قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوطاً^(١) من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة - وفي رواية: المطمئنة - أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيلُ كما تسيلُ القطرة من فيّ السقاء^(٢) ... إلى أن قال **r**: "فيأتيه ملكان شديدا الانتهار؛ فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولون له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟، فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدّقت، فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره"

ثم قال رسول الله **r**: "وإن العبد الكافر - وفي رواية: الفاجر - إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظٌ شدادٌ، سودُ الوجوه، معهم المسوح^(٣) من النار، فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب... إلى أن قال **r**: "ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟، فيقول: هاه هاه^(٤)، لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون ذاك، قال: فيقال: لا دريت ولا تلوّت^(٥)، فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرّها وسمومها^(٦)، ويضيق عليه قبره حتى تختلف^(٧) أضلّاعه"

فَأَيُّ الصِّفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!

(١) الحنوط: طيب يُخلط للميت خاصة.

(٢) تخرج من الجسد بسهولة كانسباب قطرة ماء من فم القرية أو الإناء.

(٣) جمع المسح: (يكسر الميم) وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للبدن.

(٤) هي كلمة تقال في الضحك وفي الإبعاد، وقد تقال للتوجّع، وهو أليقُ بمعنى الحديث. والله أعلم. كذا في "الترغيب".

(٥) "لا دريت ولا تلوّت": قال ابن حجر في "الفتح" (٢٣٩/٣): "قال ثعلب: "أي لا فهمت ولا قرأت القرآن، ولا تبعت من يدري"

(٦) السّموم: الريح الحارة.

(٧) الخلاف: المضادة: "واختلاف الأضلاع" والله أعلم: تضادها: أي تصبح الضلوع اليمنى موضع اليسرى، واليسرى موضع اليمنى من شدة الضمّة والعياذ بالله. والمعنى القريب لفهمي أن الخلاف هو تدخل الضلوع بعضها في بعض، ويشير لهذا ما فعله النبي عندما شبك بين أصابعه، والله أعلم. وهذا الحديث يدل على أن العذاب في القبر يكون للروح والجسد؛ لأن الأضلاع من الجسد.

٤) دخول الجليس:

فعندما يفتح للرجل الصالح باب من النار ثم يغلق عنه، فيقال له: هذا مقعدك لو كنت عصيت الله، ثم يفتح له باباً إلى الجنة يرى مقعده، فيتمنى على الله أن تقوم الساعة، حتى يعود إلى منزله في الجنة، ثم يدخل عليه عمله متمثلاً في صورة رجل أبيض الوجه، حسن الثياب، طيب الرائحة، ويُبشِّرُه بما يحب.

وأما مَنْ عاش لدنياه واتبع هواه وعصى مولاه، فهذا يُفْتَحُ له باب إلى الجنة حتى يرى قصورها ويشم عبيرها ثم يغلق عنه، ويقال: هذا مقعدك لو كنت أطعت الله، ثم يُفْتَحُ له بابٌ إلى النار ويقال: هذا مقعدك لأنك عصيت الله.

ثم يدخل عليه رجل أسود الوجه، قبيح الثياب، نتن الرائحة، فيقول له العبد في ألم وحسرة: من أنت؟! فيقول له: أنا عمك

يقول النبي ﷺ عن الرجل الصالح كما في حديث البراء بن عازب t:

"يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عمك الصالح..."

وأما العبد الذي عاش لهواه وخالف مولاه فيتمثل عمله في صورة رجل أسود الوجه، خبيث الثياب، نتن الرائحة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ فقال على الرجل الكافر أو الفاجر:

"... ويمثل له رجلٌ قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عمك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً إلى معصية الله، فجزاك الله شراً، ثم يُقَيِّضُ له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة^(١)، لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربةً حتى يصير بها تراباً، ثم يُعيدُه الله كما كان، فيضربه ضربةً أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين^(٢)، ثم يُفْتَحُ له باب من النار، ويمهد من فرش النار، فيقول: رب لا تقم الساعة"

فَأَيُّ الصَّنَفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونِ؟!)

(١) ويقال لها أيضاً: "الأرزبة". وهي المطرقة الكبيرة التي تكون للحدّاد، وهي من حديد.

(٢) الثقلين: الإنس والجن.

رابعاً: النفخ في الصور

عند النفخ في الصور النفخة الثانية يقوم الناس جميعاً لرب العالمين، كما قال تعالى:

{ وَنُفِّخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِّخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ }

[الزمر: ٦٨]

فالكل سيقوم من القبور، والكل حضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور، ويُجازى الكفور، فذاك ذنبه مغفور، وسعيه مشكور، وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور، وهو يدعو بالويل والثبور، قال تعالى:

{ وَنُفِّخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ } { ٥١ } { قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا } [يس: ٥١-٥٢]

وقال تعالى: { خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ } { ٧ } { مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَاْفِرُونَ

هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ } [القمر: ٧-٨]

وفي هذا الموقف العصيب ينقسم الناس إلى صنفين: صنف إذا سمع المنادي؛ يقوم من قبره طيب النفس نشيط، مشتاق إلى لقاء ربه، كما كان في الدنيا يقوم طيب النفس نشيط إذا سمع النداء إلى الصلاة

- أضف إلى هذا أن القرآن يستقبله عند خروجه من قبره

فقد أخرج الإمام أحمد عن بريدة الأسلمي **t** عن النبي **r** قال:

"... وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له:

هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك، فيقول له: أنا

صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته،

وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيُعطي الملك يمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه

تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين، لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال:

بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درجات الجنة وعرفها، فهو في صعود ما

دام يقرأ هذا^(١) كان أو ترتيلاً"

(قال الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب": إسناده حسن لغيره).

- وهناك صنف من الناس يقوم من قبره إذا سمع النداء كالمصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس،

ويقوم خبيث النفس كسلان، كما كان في الدنيا حينما يسمع النداء للصلاة فلا يلبى.

(١) هذا: يعني سرعة القراءة.

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!

خامساً: الحشر

• الصنف الأول: أهل السعادة

١) يُحْشَرُونَ رُكْبَانًا:

قال تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} [مريم: ٨٥].
{وَفْدًا}: قال ابن عباس **k**: أي "ركبانا".

وقال علي بن أبي طالب **t**: "ما يُحْشَرُونَ والله على أرجلهم، ولكن على نُوقٍ رحالها الذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن هموا بها طارت".

٢) يُحْشَرُونَ آمِنُونَ مَطْمَئِنُونَ فَرِحُونَ:

فتراهم لا يخافون حينما يخاف الناس، ولا يفرعون حينما يفرع الناس.

قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} [النمل: ٨٩].

وقال تبارك وتعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {٦٢} {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} {٦٣} لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: ٦٢-٦٤].

فقوله تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} هذا عندما تبشرهم الملائكة عند الاحتضار بالجنة؛

كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: ٣٠].

أما البشرى في الآخرة، فهي عندما تتلاقحهم الملائكة يوم الحشر، فتثبت قلوبهم وتطمئنهم من الفرع الأكبر، كما قال تعالى: {لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [الأنبياء: ١٠٣]

٣) يُحْشَرُونَ بِيضَ الْوُجُوهِ:

قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضتْ وُجُوهُهُمُ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران: ١٠٧].

وقال تعالى: {وُجُوهُهُمُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ} {٣٨} {ضاحكة مُّسْتَبْشِرَةٌ} [عبس: ٣٨-٣٩].

{مُسْفَرَةٌ} قيل: "مشرقة"، وقيل: "مضيئة"، وقيل: "مستنيرة"، وكلها متقاربة في المعنى، والاشتقاق

اللغوي يدل على ذلك. (انظر لسان العرب: ٣٦٩/٤)

ونقل الطبري عن مجاهد أن قال: "إن النضرة من السرور والنعيم والغبطة". اهـ

فنضرة وجوه المؤمنين يوم القيامة بسبب ما يجدونه من النعيم والسرور الذي أعدّه الله لهم.

٤) يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ أَظْلَمَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:

ففي هذا اليوم العصيب عندما تقترب الشمس فوق الرعوس بقدر ميل أو ميلين، فتصهر الناس إلا الأتقياء والذين ذكروهم النبي ﷺ .

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله ﷺ:

«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

والإظلال في ظله **a** ليس مقصوراً على السبعة المذكورين في الحديث، فقد جاءت نصوص كثيرة تدل على أن الله يظل غيرهم، وقد جمع الحافظ ابن حجر **r** الخصال التي يظل الله تعالى أصحابها في كتاب سماه "معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال

يا عرشُ تحت ظلِّك الحبيب يا ليت لي في الظلِّ من نصيب

٥) تمرُّ عليهم الخمسين ألف سنة كمقدار ما بين صلاتي الظهر والعصر:

فقد أخرج الحاكم في "المستدرک" عن أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله ﷺ:

«يومُ القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر» (الصحيحة: ٢٤٥٦)، (صحيح الجامع: ٨١٩٣)

- بل جاءت بعض الروايات لتوضح أن هذا اليوم العصيب يمرُّ على المؤمنين كقدر ساعة

فقد أخرج ابن حبان عن عبد الله بن عمرو **k** عن النبي ﷺ قال:

«تجتمعون يوم القيامة، فيقال: أين فقراء هذه الأمة؟ قال: فيقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: ربنا ابتلينا فصبرنا، ووليت الأموال والسلطان غيرنا، فيقول الله **u**: صدقتم، قال: فيدخلون الجنة قبل الناس، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان، قال: قالوا: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: توضع لهم كراسي من نور، وتظل عليهم الغمام؛ يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار»

وقد قال تعالى: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا} [الفرقان: ٢٤]

٦) يأكل المؤمنون في أرض المحشر ويشربون:

U قاله قد أعدَّ للمؤمنين نُزْلاً في أرض المحشر قبل أن يدخلوا الجَنَّةَ، حيث يطعمهم ويسقيهم، حتى لا يجدوا شيئاً من جوع هذا اليوم وعطشه

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري **t** قال: قال رسول الله **r**:
«تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته^(١) في السفر، نزلاً^(٢) لأهل الجَنَّةَ، قال: فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجَنَّةَ يوم القيامة؟ قال: بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة، قال: فنظر إلينا رسول الله **r**، ثم ضحك^(٣) حتى بدت نواجذه، قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: بلى، قال: إدامهم بالام^(٤) ونون^(٥)، قال: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كدهما سبعون ألفاً»

قال الحافظ ابن حجر **r** في "فتح الباري" (١١/٤٥٥):

"ويستفاد من الحديث أن المؤمنين لا يعاقبون بالجوع في طول زمان الموقف، بل يقبل الله لهم بقدرته طبع الأرض حتى يأكلوا منها من تحت أقدامهم ما شاء الله بغير علاج ولا كلفة، ويكون معنى قوله: "نزلاً لأهل الجَنَّةَ" أي الذين يصيرون إلى الجَنَّةَ.

- وأما شرابهم فإنهم يشربون من حوض النبي **r**.

فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو **k** عن النبي **r**:
"حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً"
وذكر ابن رجب **r** عن بعض السلف أنه قال:

"بلغنا أنه يوضع للصَّوام مائدة يأكلون عليها، والناس في الحساب، فيقولون: "يا رب نحن نحاسب وهم يأكلون، فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتهم، وقاموا ونمَّتم".

(١) أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي.

(٢) نزلاً: هو ما يعد للضيف عند نزوله.

(٣) ضحك النبي لأنه كان قد أخبرهم بهذا من قبل.

(٤) بالام: قال النووي **r**: "بالام" لفظة عبرانية معناها: "ثور"، وزيادة كبد الحوت وزانديتها، قال عياض **r**: "هي القطعة المنفردة المتعلقة بها، وهي أطيبه، ولهذا خصَّ بأكلها السبعون ألف، ولعلمهم الذين يدخلون الجَنَّةَ بغير حساب، فضَّلوا بأطيب النزل، ويحتمل أن يكون عبر بالسبعين عن العدد الكثير، ولم يرد الحصر فيها.

(٥) النون: الحوت.

• الصنف الثاني: أهل الشقاء

١) أَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبِكَمَا وَصَّمَا.

قال تعالى: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } { ١٢٤ } قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي

أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا { ١٢٥ } قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى { طه: ١٢٤-١٢٦ }

وقال تعالى: { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبِكَمَا وَصَّمَا مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا }

[الإسراء: ٩٧]

فهؤلاء الذين كفروا وأعرضوا عن الهدى والنور والرشاد؛ يحرمون من جوارحهم في هذا اليوم العصيب شديد الزحام، جزاءً وفاقاً؛ لأنهم عطلوها في الدنيا عن معرفة الحق، أو عرفوه وحادوا عنه، فمصيرهم أن يحشروا على وجوههم عُمِيًّا وَبِكَمَا وَصَّمَا إلى هذه النار الملتهبة، التي كلما خبت وهدأت زادها الله تأجُّبًا.

ثبت عند "البخاري ومسلم" من حديث أنس t: "أن رجلاً قال: يا رسول الله! كيف يُحشَرُ الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال النبي ﷺ: أليس الذي أمشاهُ على رجليه في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة: بلى وَعِزَّة رَبِّنَا".

٢) يُحْشَرُونَ عَابِسِينَ كَالْحِي الْوُجُوهِ:

قال تعالى: { كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ } { ٢٠ } وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ } { ٢١ } وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ } { ٢٢ } إِلَىٰ رَبِّهَا

نَاطِرَةٌ } { ٢٣ } وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ } { ٢٤ } تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ } [القيامة: ٢٠-٢٥].

{ بِأَسْرَةٍ } : كالحاة، { فَاقِرَةٌ } : يعني: داهية، تقسم فقار الظهر.

فوجوه الكفار في هذا اليوم ليأسها وضعفها كالحاة، كرهية المنظر، عابسة مقطبة، وتتوقع نزول داهية بها تقصم الفقار، وقال مجاهد: "إن هذه الوجوه العابسة تستيقن أنها هالكة، وأنها ستدخل النار.

٣) يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُودَ الْوُجُوهِ يَعْلُوها غِبْرَةً:

قال تعالى: { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ } [الزُّمَر: ٦٠]

وقال تعالى: { يَوْمَ بَيضٌ وَّجْوهٌ وَسُودٌ وَّجْوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُم أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } [١٠٦] { وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضتْ وُجُوهُهُم ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [آل عمران: ١٠٦-١٠٧]

فالبياض علامة المؤمنين يوم القيامة، والسواد سيما المجرمين في هذا اليوم، بالإضافة إلى الغبار الذي يعلوها؛ كما قال تعالى: { وُوجُوهُهُم يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غِبْرَةٌ } [٤٠] { تَرَهَقْتَهَا قَرَّةٌ } [٤١] { أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ }؛

فيزيد الصورة بشاعة وكآبة، بخلاف وجوه المؤمنين والتي تشع نوراً؛ كما قال تعالى:

{ وُوجُوهُهُم يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ } [٣٨] { ضاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ } [عبس: ٣٨-٣٩]، فشتان بين السواد المغبر، والبياض المسفر.

٤) يحشرون والشمس فوق رؤوسهم:

وتقترب الشمس من رعوس الخلائق مقدار ميل أو ميلين، كما جاء في الحديث: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَدْنَيْتِ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قَدْرَ مِيلٍ^(١) أَوْ مِيلَيْنِ؛ فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ...»

ولك أن تتصوّر حال الناس حينئذ وقد صهرتهم الشمس.

ويذهب عرقهم في الأرض، ثم يرتفع فوق الأرض، ويأخذ كل إنسان بحسب عمله، وهذا ما يوضحه النبي **ر**.

ففي "الصحيحين" من حديث المقداد بن الأسود الكندي **t** قال: سمعت رسول الله **r** يقول: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَدْنَيْتِ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قَدْرَ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ؛ فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ، فَيَكُونُوا فِي الْعَرَقِ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقْبِيهِ، وَمِنْهُمْ يَأْخُذُهُ إِلَى رِكْبَتِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوِيهِ^(٢)، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْجَامَاً^(٣)».

- وفي "الصحيحين" أيضاً من حديث أبي هريرة **t** أن رسول الله **r** قال: «يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ».

(١) قدر ميل: قال سُلَيْمٌ بْنُ عَامِرٍ - أحد رواة الحديث - فوالله ما أدري ما يعني بالميل، أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين؟.

(٢) الحَقْوُ: مشد الإزار عند الخصر.

(٣) يلجمه العرق: المراد يبلغ العرق فمه.

• أما عن ظلم الذي يستظلون به:

فإنه ظل من دخان أسود شديد السواد، حارٌّ شديد الحرارة، فهو ليس على الحقيقة بظل، بل هو نوع من أنواع العذاب، ويدلك على هذا قوله تعالى:

{ انظَلُّوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ { ٣٠ } لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ } [المرسلات: ٣٠-٣١]

والظل يشعر عادة بالنداوة والبرودة، كما أن النَّفْسَ تحبه وتستريح إليه، أما هذا الظل فإنه ليس بارد المدخل، ولا بكريم المنظر، له ثلاث شعب: شعبة عن يمينهم، وشعبة عن شمالهم، وشعبة من فوق رعوسهم، أي أن الدخان محيط بهم من كل جانب، وهذا الظل ليس بظليل، بل هو ظل من يحموم،

كما قال رب العالمين: { وَظِلٌّ مِّنْ يَّحْمُومٍ { ٤٣ } لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ } [الواقعة: ٤٣-٤٤]

٥) يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَطَاشًا:

قال تعالى: { يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفدًا { ٨٥ } وَسَوْقَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا } [مريم: ٨٥-٨٦].

وفي قوله: { وَسَوْقٌ } إشعار باهانتهم، كأنهم أنعام عطاش تساق إلى الماء.

- وأما قوله { وَرِدًا } : أي عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش، وهم يَرِدُونَ ولكن لا يَرِدُونَ الماء، بل يَرِدُونَ جهنم وجحيمها ومهلها وحميمها.

ففي "الصحيحين" عن أبي سعيد **t** عن النبي **r** في حديث الشفاعة الطويل:

"إنه يقال لليهود والنصارى: ماذا تَبْغُونَ؟ فيقولون: عَطَشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فيشار إليهم ألا تَرِدُونَ؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سرابٌ يُحَطَّمُ بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار".

٦) يقفون في أرض المحشر خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب ولا جلوس:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر **k** أن النبي **r** تلا قوله تعالى:

{ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } [المطففين: ٦]، قال: «يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة».

فأى الصنفين تحب أن تكون؟ هؤلاء الذين يحشرون ركبانا، بيض الوجوه، ويحشرون آمنون مطمئنون فرحون، وقد أظلمهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، وتمرُّ عليهم الخمسين ألف سنة كساعة من النهار، أو تكون كهؤلاء الذين يقفون في أرض المحشر خمسين ألف سنة والشمس فوق رعوسهم بقدر ميل أو

ميلين، وهم غرقى في عرقهم، فأَيُّ الصَّنِيفِينَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟! ... أترك لك الإجابة

سادساً: تطاير الصحف

يقول القرطبي **٣** في كتابه "التذكرة" (ص ٢٥٥) مُصَوِّراً مشهد تطاير الصحف:

"فإِذَا بُعِثَ الْعِبَادُ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْمَوْقِفِ، وَقَامُوا فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، حِفَاةَ عِرَاءٍ، وَجَاءَ وَقْتُ الْحِسَابِ الَّذِي يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَحَاسِبَهُمْ فِيهِ، أَمَرَ بِالْكَتَبِ الَّتِي كَتَبَهَا الْكَرَامُ الْكَاتِبُونَ بِذِكْرِ أَعْمَالِ النَّاسِ فَأَتَوْهَا، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوْتَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ السَّعْدَاءُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُوْتَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَهُمْ الْأَشْقِيَاءُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْرَأُ كُلُّ كِتَابِهِ. اهـ"

• الصنف الأول: أهل السعادة

قال تعالى عن هذا الصنف: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ } { ١٩ } { إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ } { ٢٠ } { فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ } { ٢١ } { فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ } { ٢٢ } { قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ } { ٢٣ } { كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ } [الحاقة: ١٩- ٢٤]

- يقول ابن كثير **٣** في تفسيره: "يخبر تعالى عن سعادة مَنْ يُوتَى كِتَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَمِينِهِ وفرحته بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكلِّ مَنْ لَقِيَهُ: { هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ } أي: خذوا اقرءوا كتابيه؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خيرٌ وحسناتٌ محضةٌ، لأنه ممَّنْ بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ"

• الصنف الثاني: أهل الشقاء

قال تعالى عن هذا الصنف: { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ } { ٢٥ } { وَلَمْ أَذْرَ مَا حَسَابِيهِ } { ٢٦ } { يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ } { ٢٧ } { مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ } { ٢٨ } { هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ } { ٢٩ } { خُذُوهُ فَغُلُّوهُ } { ٣٠ } { ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ } { ٣١ } { ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ } { ٣٢ } { إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ } { ٣٣ } { وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ } { ٣٤ } { فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ } { ٣٥ } { وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ } { ٣٦ } { لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ } [الحاقة: ٢٥- ٣٧]

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أُعْطِيَ أَحَدُهُمْ كِتَابَهُ فِي الْعُرْصَاتِ بِشِمَالِهِ؛ فحِينُذْ يَنْدَمُ بِغَايَةِ النَّدَمِ، فيقول: { يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ } { ٢٥ } { وَلَمْ أَذْرَ مَا حَسَابِيهِ } { ٢٦ } { يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ } يعني: موتة لا حياة بعدها، وقال قتادة: "تمنى الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه"

فأيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟! هذا الذي يأخذ كتابه بيمينه؛ فينعم بحياة طيبة راضية، أم تكون كهذا الذي يأخذ كتابه بشماله ويكون مآله النار وغضب الجبار... فأيهما تحب أن تكون؟ **أترك لك الإجابة**

سابعاً: الميزان

الناس يقفون يوم القيامة أمام قضاء عادل، تنفصم فيه عرى القرابة والصدافة، وسائر روابط الإنسانية، فيقف الغني والفقير، وذو الجاه والصلعوك أمام قانون واحد حازم، تمهيداً لوزن أعمالهم بالقسطاس المستقيم العادل الذي لا تشوبه شائبة من شوائب الظلم، قال تعالى: {فَإِذَا نْفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ

يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْأَلُونَ { ١٠١ } فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { ١٠٢ } وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ { ١٠٣ } تَلْفَحُ وَجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ { المؤمنون: ١٠١-١٠٤ }

- فعندما يموت الإنسان تنقطع الأعمال، فإذا كان يوم القيامة وُزنت أعمال العباد وزناً دقيقاً، فيحاسب كلُّ على أعماله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وإن كانت أعمال الخير أكثر من أعمال الشر ولو بحسنة، دخل الجنة، وإن غلبت سيئاته حسناته دخل النار، كما قال العزيز الغفار:

{ فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ { ٦ } فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ { ٧ } وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ { ٨ } فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ { ٩ } وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ { ١٠ } نَارٌ حَامِيَةٌ { الفارعة: ٦-١١ }، وقال تعالى: { وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { ٨ } وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ { الأعراف: ٨-٩ }

- يقول أنس t: "يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق: شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً".

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونِ؟! هذا الذي يتقل ميزانه فيكون من أهل السعادة، أم هذا الذي يخف ميزانه فيكون من أهل النار... أترك لك الإجابة

ثامناً: الحوض

والحوض هذا أعطاه الله تعالى لنبيه في عرصات القيامة، وهو حوض واسع الأرجاء طوله مسيرة شهر، وعرضه كذلك، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، ويأتيه هذا الماء من نهر الكوثر في الجنة، والذي أعطاه الله لنبيه، وينزل الماء من الكوثر إلى الحوض عن طريق ميزابان أحدهما من ذهب، والثاني من فضة، وأنية الحوض من الذهب والفضة، وهي كعدد نجوم السماء، وفي هذا الموقف ينقسم الناس فيه إلى صنفين

• الصنف الأول: يشرب من يدي الحبيب r شربة لا يظماً بعدها أبداً

... اللهم اجعلنا بفضلك من هذا الصنف

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو k قال: قال رسول الله r:

"حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء^(١)، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، مَنْ يشرب منه فلا يظماً أبداً"

• أما الصنف الثاني: وهم الذين حرموا أن يشربوا من هذا الحوض.

ففي هذا اليوم العصيب، تنقطع أعناق الناس من شدة العطش، وإذا بالنبي r يسقي المؤمنين، ويذهب آخرون ليشربوا من يده، ولكن تحجزهم الملائكة وتمنعهم من الوصول إلى الحوض.

- فقد أخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد t قال: قال رسول الله r:

"إني فرطكم على الحوض، من مرَّ بي شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، وليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدلَّ بعدي"

فأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟! هذا الذي يشرب من يدي الحبيب النبي r شربة لا يظماً بعدها أبداً،

أم هذا الذي يُحرم أن يشرب من حوض النبي r في هذا اليوم شديد الحر؟... أترك لك الإجابة

(١) زواياه سواء: أي مربع، لا يزيد طوله عن عرضه شيئاً.

تاسعاً: الصُّرَاطُ

وقبل الحديث عن هذا المشهد المهيّب، نلقي الضوء على ما قبل الصراط، حيث يتم التمايز بين المؤمنين الصادقين وبين المنافقين الكاذبين.

ففي يوم القيامة تختفي مصادر النور العادية، فتكْوَرُ الشمس، وتتكدر النجوم

كما قال تعالى: **{ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ { ١ } وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ { ٢ } }** [التكوير: ١-٢]

ويُبعَثُ الخلق في ظلمة شديدة، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها، وفي هذا اليوم العصيب المُظلم يعطي الله **U** النور لكلِّ مَنْ أعلن كلمة التوحيد في الدنيا، حتى إذا اقترب الجميع من الصراط، أبقى الله **U** النور للمؤمنين الصادقين المخلصين، كما قال تعالى:

{ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ } [الحديد: ١٢]

ويسلب الله تعالى النور من المنافقين عند الاقتراب من الصراط، وهنا يخاف المؤمنون أن يُطفأ نورهم فدعوا ربهم **{ رَبَّنَا أَتَمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** [التحریم: ٨]

- نقل ابن كثير **ر** في "تفسيره" (٦١/٧) عن مجاهد والضحاك والحسن قولهم في هذه الآية: "هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفى". اهـ

ويدل على هذا ما جاء عند الطبراني **ر** عن ابن عباس **k** عن النبي **ر** قال:

"إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترًا منه على عباده، أما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً، فإذا استنوا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون: ربنا أتمم لنا نورنا، فلا يذكر عند ذلك أحدٌ أحدًا"

وعندما ينطفئ نور المنافقين في هذا اليوم العصيب شديد الظلمة، يركبهم الخوف والهَم، ويقعون في رعب شديد، فيلجأون إلى المؤمنين أن يعطوهم شيئاً من النور الذي معهم فيقولون: "انظرونا نقتبس من نوركم" فيشير عليهم المؤمنون أن يعودوا إلى المكان الذي أعطاهم الله **U** فيه النور، فيعود المنافقون إلى الوراء، ويتقدّم المؤمنون إلى الإمام، فإذا تمايز الفريقان، ضرب الله بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب

(١) الشمس كورت: يعني أزيل ضياؤها، أو لفت وطويت. - النجوم انكدرت: أي تساقطت وهوت.

- يقول "شارح الطحاوية" r (ص ٤٧): "وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم"

- وقد حدثنا القرآن الكريم عن هذا المشهد المهيّب، والمفارقة بين المؤمنين الصادقين وبين المنافقين المخادعين؛ فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ { ١٢ } يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ { ١٣ } يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ { ١٤ } فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِسْمِ الْمَصِيرِ { [الحديد: ١٢-١٥]

ثم يبدأ المرور على الصراط، وفي هذا الموقف العصيب ينقسم الناس فيه إلى صنفين:

• الصنف الأول: أهل السعادة

وهم الذين يمرّون على الصراط، وتختلف سرعتهم عليه باختلاف إيمانهم وأعمالهم. فمنهم من يمرّ كالبرق أو كالطرف أو كالريح أو كالطير أو كأجاويد الخيل أو كالركاب أو يمر زحفاً يتلبّط على بطنه، ومنهم من يمرّ ولكنه يُخَدَشُ وتلفحه النار.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث حذيفة وأبي هريرة k قالاً: قال رسول الله r:

"... فيمرُّ أولكم كالبرق، قال: قلت: بأبي أنت وأمي، أي شيء كالبرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمرَّ الريح، ثم كمرَّ الطير، وشدَّ الرِّجال (١)، تجري بهم أعمالهم (٢)، ونببكم قائم على الصراط، فيقول: ربِّ سلِّمْ سلِّمْ، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً..." الحديث

(١) شدَّ الرِّجال: العذو البالغ، والجزي.

(٢) هو تفسير لقوله r: "فيمرُّ أولكم كالبرق... ثم كمرَّ الريح..."

• الصنف الثاني: أهل الشقاء

وهؤلاء الذين ذلَّت أقدامهم فوقوا في نار جهنم، أو تأخذهم الكلاب والخطاطيف وتلقي بهم في النار وقد جاء ذكر هذا الصنف في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري **t** قال: قال رسول الله **ﷺ**: "... ويؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكه مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها: السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف، والبرق، والريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فجاج مُسَلَّم، وناج مَخْدُوش، ومَكْدُوس في نار جهنم، حتى يمرَّ آخرهم يُسحب سحباً"

إذا برز العباد لذي الجلال
بأوزار كأمثال الجبال
فمنهم من يكب على الشمال
تلقاه العرائس بالغوالي
غفرت لك الذنوب فلا تبالي

أبت نفسي تتوب فما احتيالي
وقاموا من قبورهم سكارى
وقد نصب الصراط لكي يجوزوا
ومنهم من يسير لدار عدن
يقول له المهيمن يا وليّ

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟! هذا الذي يمرُّ على الصراط في أمان إلى جنة الرحمن، أم هذا الذي تتخطفه الكلاب والخطاطيف والحسكة وتلقي به في نار جهنم ليصلى من حرها ويعاني من نفعها، فلا يموت فيها ولا يحيى، فأَيُّ الرجلين تحب أن تكون؟... **أترك لك الإجابة**

أخي الحبيب... اعلم أن العلماء قد عرفوا الصراط لغة: بأنه الطريق الواضح، فمتى استقام الإنسان على الصراط المستقيم الذي ضربه الله له في الدنيا، اتَّسع له الصراط الذي على متن جهنم، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا تعثر وتردَّى في نار جهنم عياداً بالله، ومتى خالف الإنسان هواه واتَّبع مولاة سلم من الخطاطيف والكلاليب يوم القيامة التي على الصراط، ومن تخطفته الشهوات والأهواء وبعد عن رب الأرض والسموات، تخطفته الكلاب والخطاطيف وألقته في نار جهنم-

قال تعالى: { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا } { ٧١ } { ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا }
[مريم: ٧٢]

نسأل الله تعالى أن يثبت أقدامنا على الصراط، وأن يُنجينا من جهنم بكرمه ومنه،

إنه ولي ذلك والقادر عليه

تاسعاً: الضيافة

أولاً: ضيافة أهل الجنة:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [الكهف: ١٠٧]

والنزل هو ما يعد للضيف

ومن حسن ضيافة أهل الجنة، أن الجنة تُقَرَّب إليهم ولا يُقَرَّبون هم إليها.

قال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الشعراء: ٩٠]

وقال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ} [ق: ٣١]

وقال تعالى: {وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ} ^(١) [التكوير: ١٣]

فإذا ما دخلوا الجنة فإذا بها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

- وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله **r**:

قال الله: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب

بشر، فاقرعوا إن شئتم: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧]"

ففي الجنة كل ما يريده المرء ويتمناه، بل وفوق ما يتمناه، قال تعالى: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: ٣٥]

وقال تعالى: {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف: ٧١]

(١) أزلفت: أي قربت.

ثانياً: ضيافة أهل النار:

قال تعالى: { إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا } [الكهف: ١٠٢]

وقبل الحديث عن ضيافتهم، وما أعدَّ الله لهم في جهنم، نتكلم عن كيفية دخول أهل النار إلى جهنم، حيث يُساق أهل النار إلى النار سوقاً شديداً، ويدفعون إليها دفعاً، كما قال تعالى:

{ يَوْمٌ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً { ١٣ } هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُتِبَ بِهَا تَكْذُوبٌ }^(١) [الطور: ١٣-١٤]

- ثم إذا اقتربوا منها فُتحت أبوابها في وجوههم بغتة حتى يصيبهم الفرع من هول المنظر، قال تعالى:

{ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا } [الزمر: ٧١]

- فإذا فتحت أبواب جهنم ألقى فيها أهلها من مكان ضيق، وهم مقيدون بالسلاسل والاعلال،

قال تعالى: { وَإِذَا الْقَوْمُ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَا هُنَالِكَ بُورًا }^(٢) [الفرقان: ١٣]

- وهذا الإلقاء إنما يكون على وجوههم، قال تعالى: { وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تَجْزُونَ

إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [النمل: ٩٠] (اليوم الآخر في القرآن العظيم: ص ٤٥٧)

- ثم يلقي بعضهم على بعض، كما قال تعالى:

{ فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ { ٩٤ } وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ }^(٣) [الشعراء: ٩٤-٩٥]

- ثم يتم استقبالهم في جهنم أسوأ استقبال، ويبدأ العذاب النكال

فقد قال تعالى: { هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ { ٥٥ } جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ { ٥٦ } هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ

وَعَسَاقٌ { ٥٧ } وَآخِرُ مَنْ شَكَّلَهُ أَزْوَاجٌ { ٥٨ } هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ { ٥٩ } قَالُوا بَلْ

أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ } [ص: ٥٥-٦٠]

(١) الدع: الدفع الشديد.

(مفردات القرآن للأصفهاني: ص ٦٦٧)

(٢) مقرنين: أي مشدودين ومربوطين

(لسان العرب لابن منظور: ٦٩٧/١)

(٣) كبكبا: يعني ألقى بعضهم على بعض.

- وقوله: **{لَشَرِّ مَا ب}** أي شر مرجع يرجعون إليه يوم القيامة، وشر مردّ يردون إليه.

- وقوله: **{حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ}** الحميم الذي بلغ أعلى درجات الغليان، والغساق: البارد شديد البرودة، فيتناولون هذا بعد ذلك مما يسب لهم آلاماً شديدة.

- وقوله: **{وَأَخْرِمُنَّ شِكْلَهُ أَزْوَاجٌ}** أي وصور أخر من صور العذاب على هذه الشاكلة.

- أما قوله تعالى: **{هَذَا فَوْحٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ . . . }**

قيل: أي لا ترحب بهم النار، ولا تتسع لهم، وقيل: "إن الذين لا يرحبون بهم هم من سبقوهم بالدخول في النار، فمن يُلقى في النار ينتظر من يواسيه ممن دخلها قبله، فإذا بهم يقولون لهم: لا مرحباً بكم، كما قال تعالى: **{كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا}** فيرد الداخلون الجدد على من سبقوهم إلى النار بقولهم: **{بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ}** أي أنتم الذين تسببتم لنا في هذا العذاب، فبئس

المستقر تستقرون فيه، فهناك يدعو الجميع على من كان السبب، فيقولون: **{رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ}**

فتعال أنا وأنت لنرى ضيافة أهل الجنة وما أعدّ لهم من ألوان النعيم،
وضيافة أهل النار وما أعدّ لهم من العذاب الأليم

الطَّعَام

أولاً: طعام أهل الجنة:

١) الفاكهة بجميع أنواعها:

قال تعالى: {وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ} [الواقعة: ٢٠]

وقال تعالى: {يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ} [الدخان: ٥٥]

وقال تعالى: {لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ} [الزخرف: ٧٣]

وقال تعالى: {وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ} [محمد: ١٥]

- وهذه الفاكهة من النوع الذي يختاره ويشتهيها حتى تكمل اللذة

قال تعالى: {وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ} [الواقعة: ٢٠]

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} {٤١} {وَفَوَاكِهٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} {٤٢} {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [المرسلات: ٤١ - ٤٣]

- وهذه الفاكهة لا تنقطع في وقت من الأوقات؛ كما يحصل في فاكهة الدنيا، بل هي متوافرة دائماً،

ولا تمنع عن أصحاب الجنة أبداً

قال تعالى: {وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ} {٣١} {وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ} {٣٢} {لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: ٣١ - ٣٣] ،

وقال تعالى: {مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكَلُوهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى

الْكَافِرِينَ النَّارُ} [الرعد: ٣٥]

- وإذا أراد أن يأكل من هذه الفاكهة، فإنه لا يتعب نفسه في إحضارها وجنيها، بل يطلب ذلك

ويحضرها الخدم له، قال تعالى: {مُسْكِينٍ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ} [ص: ٥١]

- وإذا انتهى أن يقطف هذه الفاكهة بنفسه، فإنها لا تعسر عليه، بل تذلل له الأغصان، وتنزل حتى

يأخذ منها ما شاء بلا تعب أو عناء، قال تعالى: {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا} [الإنسان: ١٤]

وقال تعالى: {وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرحمن: ٥٤]، أي أن ثمر الجننتين متدلي وقريب،

وقال تعالى عن أهل الجنة: **{ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ { ٢١ } فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ { ٢٢ } قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ { ٢٣ } }**
كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَقْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ { الحاقفة: ٢١ - ٢٤ } .

{ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ }: أي خالية من الهموم والأكدار، في جنة رفيعة المكان والدرجات، فيها الخضرة والمياه والظلال، فيها الثمار دانية، والأنهار جارية وفيها الحور العين، وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

٢) وفي الجنة كذلك لحم بأنواعه لما تشتهيهِ الأنفس:

قال تعالى: **{ وَأُمِدَدْنَا لَهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ }** [الطور: ٢٢]

وقال تعالى: **{ وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ }** [الواقعة: ٢١]

وأخرج الإمام أحمد بسند جيد عن النبي ﷺ أنه قال: **"إن طير الجنة كأمثال البخت، ترعى في شجر الجنة، فقال أبو بكر ؓ: يا رسول الله! إن هذه الطير ناعمة، فقال: أكلتها أنعم منها (قالها ثلاثاً)، وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها"**

٣) وفي الجنة كذلك أسماك وحياتان:

وقد أخبر الحبيب النبي ﷺ أن أول طعام يأكله أهل الجنة هو زيادة كبد الحوت

ففي "صحيح البخاري" أن النبي ﷺ قال:

"وأما أول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت"

- وفي "صحيح مسلم": **"أن يهودياً سأل النبي ﷺ عن أول طعام أهل الجنة فقال: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد النون (يعني الحوت)، قال: فما غذائهم على أثرها؟ قال: يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شرابهم عليها؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلاً، قال: صدقت"**

- وليس فقط طعام أهل الجنة اللحم والسمك والفاكهة، بل فيها كل ما اشتتهت الأنفس ولذت العيون
قال تعالى عن أهل الجنة: **{ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُهِ الْأَنْفُسُ وَتَلذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }** [الزخرف: ٧١]، وقال تعالى: **{ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ }** [ق: ٣٥]

ثانياً: طعام أهل النار:

١) الزَّقُوم:

قال تعالى: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ { ٤٣ } طَعَامُ الْأَثِيمِ { ٤٤ } كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ { ٤٥ } كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ {

[الدخان: ٤٣-٤٦]

فأهل النار يأكلون الزقوم فينزل في بطونهم كالزيت المغلي، يغلي في البطن كما يغلي الحميم: وهو الماء الذي قد انتهى حره.

- والزقوم شجرة تخرج من أصل الجحيم، خبيثة الطعم، شديدة القبح، شَبَّهَهَا رب العالمين برعوس الشياطين، قال تعالى عنها: {أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا مِّمَّ شَجَرَةِ الزَّقُومِ { ٦٢ } إِنْ جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ { ٦٣ } (١)

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ { ٦٤ } طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ { ٦٥ } فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ { ٦٦ } ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِمَّنْ حَمِيمٍ { ٦٧ } ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ { (٢) [الصفات: ٦٢-٦٨]

- هل تعلم أخي الحبيب أن قطرة واحدة من الزَّقُوم لو نزلت على أهل الأرض لأفسدت عليهم معاشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟!

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن ابن عباس **k** عن النبي **r** قال: "لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟" (صحيح الجامع، ٥١٢٦"٥٢٥٠)

(١) في قوله تعالى: {إِنْ جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ}: يقول ابن كثير **r** في "تفسيره": قال قتادة: "ذكرت شجرة الزقوم فافتتن بها أهل الضلالة، وقالوا: صاحبكم يبنكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله تعالى: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} غَدَّيت من النار ومنها خلقت، وقال مجاهد: {إِنْ جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ}، قال أبو جهل - لعنه الله -: "إنما الزقوم التمر والزبد أتزقَّمُه - أي أبتلعه -". اهـ

قال الحافظ ابن حجر **r**: "والزقوم لغة: من "الزقم"، وهو اللقم الشديد والشرب المفرط، وكان أبو جهل يقول عن شجرة الزقوم: أما والله لئن أمكننا الله منها لتزقَّمناها تزقماً، فنزلت الآية، وأن الله سيجازيهم بأن يأكلوا منها يملؤوا البطن.

فأهل النار يلقي عليهم الجوع فلا يجدون مفرأ من الأكل من شجرة الزقوم حتى يملؤوا بطونهم، فإذا امتلأت بطونهم أخذت تغلي في أجوافهم كما يغلي دردي الزيت، ويسلط عليهم العطش فيشربون من الحميم وهو الماء الذي تنامي حره، فشرّبوا منه كشرّب الإبل التي تشرب ولا تروى، وعند ذلك يقطع الحميم أمعاهم، كما قال تعالى: {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاهُمْ} [محمد: ١٥] وهذه هي ضيافتهم يوم القيامة.

(٢) والشوب: هو الخلط والمزج، أي يخلط الزقوم المتناهي في القذارة والمرارة مع الحميم المتناهي في اللهب والحرارة.

ومع كون قطرة واحدة من الزَّقُومِ تفسد على أهل الدنيا معاشهم، إلا أن أهل النار من شدة الجوع يأكلون من الزَّقُومِ حتى يملؤون منها البطون، قال تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ} { ٥١ }
لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ { ٥٢ } فَمَا لَوْوَنَ مِنْهَا الْبُطُونَ { ٥٣ } فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ { ٥٤ } فَشَارِبُونَ شُرْبَ
الْهِيمِ { ٥٥ } هَذَا نَزَّلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ { [الواقعة: ٥١-٥٦]

- قال ابن عباس **k**: "الهِيم: الإبل العطاش"، - وقال السدي: "هو داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً"

٢ الضَّرِيعُ:

قال تعالى: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ} { ٦ } لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ { [الغاشية: ٦-٧] }
والضريع: نبات ذو شوك لا تأكله الدواب لخبثه، وقال ابن عباس **k** عن الضريع: "إنه شجر في جهنم، وقيل: "إن الضريع: طعام في النار كالشوك، مُرٌّ منتن لا يدفع عن أهل النار جوعاً."

٣ الْغَسْلِينَ:

قال تعالى: {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ} { ٣٥ } وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ { [الحاقة: ٣٥-٣٦] }
قال ابن عباس **k**: "الغسلين هو الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحوم أهل النار"
وقال القرطبي **r**: "والغسلين هو عصارة أهل النار، وقيل: ما يسيل من فروج النساء الزواني، ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم".

الشَّرَاب

أولاً: شراب أهل الجنة:

وأما شراب أهل الجنة فإنه شراب طهور طيب، قال تعالى:

{ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضِرُ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا } [الإنسان: ٢١]

ومن هذه الأثرية: -

١ (٢) ٣ الماء واللبن والعسل:

قال تعالى: { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ } (١)

[محمد: ١٥]

وأخرج الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه **K** قال: سمعت رسول الله **ﷺ** يقول: "إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد"

(صحيح الجامع: ٢١٢٢)

٤ الخمر:

مر بنا في الآية والحديث أن من أنهار الجنة، نهر الخمر، وخمر الجنة خالي من العيوب والآفات التي تتصف بها خمر الدنيا، قال تعالى: { يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ } { ١٧ } { بأكوابٍ وأباريقٍ وكأسٍ من معين

{ ١٨ } { لا يصدعون عنها ولا ينزفون } [الواقعة: ١٧ - ١٩]

- قال ابن كثير **ر** عن تفسير هذه الآية واصفاً خمر الجنة:

"لا تصدع رءوسهم، ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطرية واللذة الحاصلة، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال في الخمر أربع خصال: "السكر، والصداع، والقيء، والبول، فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال". اهـ

(مختصر تفسير ابن كثير: ٣ / ٤٧٦)

- وقال تعالى واصفاً خمر الجنة: { يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ } { ٢٥ } { خِيَامُهُمْ مَسْكُوفٍ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ } { ٢٦ } { وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ } [المطففين: ٢٥ - ٢٧]، والرحيق: هي الخمر الصافية، ومن لذة الخمر أنها تختم بالمسك، والحاصل أن خمر الجنة فيها ما فيها من اللذة والنعيم؛ كما قال رب العالمين **U**: { وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ } [محمد: ١٥]

٥) الكافور:

قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} { ٥ } عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا } (١)
[الإنسان: ٥ - ٦]

وقال تعالى: {كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} أي يخالطها وتمزج به، قال مقاتل: "ليس هو كافور الدنيا، وإنما سمى ما عنده بما عندكم؛ حتى تهتدي له القلوب".

٦) الزنجبيل:

قال تعالى: {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا} { ١٧ } عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا } [الإنسان: ١٧ - ١٨]

- يقول ابن القيم ٣ كما في كتابه "حادي الأرواح" (ص ٢٢٤):

أخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين: بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة، ما يحدث لهم باجتماع الشرايين ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويعدّل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما أطف موضع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدّله، والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب، أحدهما مزج بالكافور والثاني مزج بالزنجبيل". اهـ

٧) التسنيم:

قال تعالى: {يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُمٍ} { ٢٥ } خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} { ٢٦ } وَمِزَاجُهُ

مِنْ تَسْنِيمٍ} { ٢٧ } عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} [المطففين ٢٥ - ٢٨]

- قال ابن كثير ٣ في تفسيره لهذه الآيات:

"وقوله: {وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ} أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم: أي من شراب يقال له تسنيم

وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه، قال أبو صالح والضحاك: "ولهذا قال: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} أي يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً، (قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة

(مختصر تفسير ابن كثير: ٦٦٢/٣)

وغيرهم). اهـ

(١) {يَفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} أي يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم، والتفجير هو الإنباع، كما قال تعالى: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَجْعَلَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ بُنْيَاعًا} [الإسراء: ٩٠]، وقال مجاهد ٣: {يَفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} يعني يقودونها حيث شاءوا، وكذا قال عكرمة وقتادة، وقال النووي: "يصرفونها حيث شاءوا".

(مختصر تفسير ابن كثير: ٦٢٥ / ٣).

ثانياً: شراب أهل النار:

بعد أن يقف الناس في أرض المحشر خمسين ألف عام بلا طعام ولا شراب، وبعد القضاء والحساب، يساق أهل النار إلى النار عطاشاً، كما قال تعالى: **{ وَسَوْفَ يُجْرِمُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا }** [مريم: ٨٦] ويصوّر لك القرآن مدى اشتياق أهل النار إلى الماء، وذلك في قوله تعالى: **{ وَتَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ }** [الأعراف: ٥٠] فإذا تقطعت أعناق أهل النار من شدة العطش، وبلغ الظمأ مداه؛ سقوا ما أعد لهم من شراب أهل النار وهو: -

١) المهل:

قال تعالى: **{ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا }** [الكهف: ٢٩] ومعنى "المهل" كما جاء في الحديث: "كعكر الزيت، فإذا قرّب وجهه سقطت فروة وجهه فيه" (رواه أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري **t** مرفوعاً)

- وقال ابن عباس **k** في تفسير: "المهل": "غليظ كدردي الزيت" يعني ما يبقى أسفل الزيت

- قال ابن عمر **k**: "هل تدرّون ما المهل؟ هو الزيت المغلي يقال: "مهل الزيت يعني أحرّه" (الزهد لابن المبارك: ص ٤٣٩)

- وقال مجاهد في قوله: **{ يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ }** مثل القحيح والدم أسود كعكر الزيت

- وقيل: "إن المهل: كل شيء أذنته من نحاس أو رصاص... ونحو ذلك"

(قاله أبو عبيدة في "مجاز القرآن: ١/٤٠)، (والقرطبي في "تفسيره: ١٦/١٠٠)

فالمهل يجمع نوعين من أنواع العذاب: الأول بصري: وهو لون العكارة والشكل القبيح، والآخر حسي: وهو لهبه الفظيع، وحرارته التي تشوي الوجوه.

٢) الحميم:

وهو الماء المغلي الذي قد بلغ أعلى درجات الغليان، وتنتهي حرّه، فقال تعالى:

{ لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } ^(١) [الأنعام: ٧٠]

- وهذا الحميم لو صبّ على رعوس أهل النار، كان تأثيره في الباطن كتأثيره في الظاهر؛ فيذيب الأحشاء والأمعاء تماماً كما يذيب الجلود، قال تعالى:

{ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ } { ١٩ } { يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ } [الحج: ١٩-٢٠]

(١) فالحميم هو الماء الحار الذي تنتهي حرّه، كما قال تعالى: **{ يُطَوَّفُونَ فِيهَا مِنَ الْحَمِيمِ } [الرحمن: ٤٤]**، وال(أن) هو الذي انتهى حره، وقال تعالى: **{ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ }** [الغاشية: ٥]، وهي التي انتهى حرها فليس بعدها حر.

فإذا شرب أهل النار الحميم تمزقت وتقطعت الأمعاء من شدة الحرارة

قال تعالى: **{ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ }** [محمد: ١٥]

ويروى أن أحدهم مرَّ بمدينة "سامراء" وكان بها كرم يأخذ ليعصر خمراً فقال:

بسامراء كرم ما مررت به
إلا تعجبت ممن يشرب الماء
فهتف به هاتف فقال:

وفي جهنم ماء ما تجرعه
حلق فأبقى له في البطن أمعاء

٣ الغساق:

قال تعالى: **{ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا } { ٢٤ } { إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا }** [النبا: ٢٤-٢٥]

- قال ابن عباس **K**: "الغساق: الزمهرير البارد الذي يحرق من يرده.

- وقال مجاهد: "الغساق الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده.

فمن عجائب النار أن الله تعالى يُعَذِّبُ فيها بالشيء وضده، يُعَذِّبُ بالنار ويضدُّها الزمهرير.
يعذب بشراب الحميم وضدَّه الغساق.

قال تعالى: **{ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ } { ٥٧ } { وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا }** [ص: ٥٧-٥٨]

فالحميم هو الحار الذي قد انتهى حرّه، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطيع من شدة برده
المؤلم، ولهذا قال **U**: **{ وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا }** أي وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده يعاقبون بها"
(تفسير ابن كثير: ٤/٤١)

٤ الصديد:

قال تعالى: **{ مَنْ وَرَّأَتْهُ جَهَنَّمُ وَسُقِيَ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ } { ١٦ } { يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ }** [إبراهيم: ١٦-١٧]

والصدید: هو عصارة أهل النار من القيح والدم، وقال قتادة **R**: "الصدید ما يسيل من بين لحمه
وجلده، وعندما يشربه لا يستسيغه من شدة نواته وكثافته". اهـ

- وروي عن مجاهد أنه قال: **{ مَاءٌ صَدِيدٌ }**: "يعني القيح والدم"

وهذا الصدید يكثر خروجه من أهل النار حتى يصبح نهراً يُسَمَّى نهر الخبال"

وقد توعدَّ الله **U** من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها؛ أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة، وهي
عصارة أهل النار

الملبس

أولاً: لباس أهل الجنة:

الجنة ليس فيها عرى، قال **ا** لآدم **u**:

{ **إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى { ١١٨ } وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى { طه: ١١٨- ١١٩ }**

- فأهل الجنة يلبسون، ولباسهم فيها الحرير، وهو أفضل أنواع الثياب

قال تعالى: { **وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** } [الحج: ٢٣]

وقال تعالى: { **وَجَزَاءُهم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ** } [الإنسان: ١٢]

- وجاء في "البخاري ومسلم" أن النبي **ر** قال:

"مَنْ لَبَسَ الحرير في الدنيا؛ لم يلبسه في الآخرة".

وهذا يدل على أن الحرير لباس أهل الجنة في الآخرة

• **أما عن ألوان الثياب:** فمنها الأخضر وهو أفضل الألوان، قال تعالى عن أهل الجنة:

{ **... وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** } [الكهف: ٣١]

والسندس: ما رق من الديباج والحرير، والاستبرق: ما غلظ منه، وقال الزجاج: "هم نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن المنظر اللباس، والتدأذ العين به،

كما قال تعالى في آية أخرى: { **عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ** } [الإنسان: ٢١]

فهذا اللباس ظاهر بارز يلبس فوق الثياب للزينة والجمال. (حادي الأرواح بتصرف: ص ٢٣٧).

• **مناديل أهل الجنة:**

في الجنة مناديل هي أفضل من حلل وسندس الدنيا

ففي "الصحيحين" من حديث البراء **t** قال:

"أهديت لرسول الله **ر حلة حرير، فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها، فقال**

رسول الله ٣: تعجبون من لين هذه؟ مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين".

ثانياً: لباس أهل النار:

لباسُ أهلِ النَّارِ نارٌ، كما قال العزيز الغفار:

{ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ } [الحج: ١٩]

وكان إبراهيم التيمي **r** إذا تلا هذه الآية يقول:

"سبحان مَنْ خلق من النار ثياباً"

- وجاءت كلمة الثياب بالجمع لتراكم النار عليهم؛ فتكون كالثياب التي تلبس بعضها فوق بعض
- وقوله: { قُطِعَتْ } أي قدرت لهم على قدر أجسادهم؛ لأن الثياب تقطع على مقدار بدن مَنْ يلبسها

ومن أهل النار مَنْ يلبس سربالاً من قطران، ودرعاً من جرب:

- كما جاء في "صحيح مسلم" من حديث أبي مالك الأشعري **t** قال: قال رسول الله **r**:
"النائحة إذا لم تتب قبل موتها؛ تقام يوم القيامة وعليها سربال من قَطْران^(١) ودرع من جرب"^(٢)

وأهل النار ينتعلون نعلاً من نار:

- فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري **t** أن النبي **r** قال:

"إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار؛ يغلي دماغه من حرارة نعليه"

- وعند مسلم من حديث النعمان بن بشير **t** عن النبي **r** قال:

"إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه، كما يغلي
المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً"

(١) والقطران: هو الذي تظلى به الإبل الجربي، أي تظلى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسراويل، وهذا مروى عن الحسن، وخصَّ القطران لسرعة اشتعال النار فيه، مع نتن رائحته ووحشة لونه، وقيل: إن القطران هو النحاس المذاب، كما في قوله تعالى: { حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا } [الكهف: ٩٦] يعني: نحاس مذاب" وهذا مروى عن ابن عباس **k**، وقيل: "هو الزفت، ولعله الأرجح".

(٢) يقول الإمام النووي **r** في شرح هذا الحديث: "فيه دليل على تحريم النياحة وهو مجمع عليه، وفيه صحة التوبة ما لم يميت المكلف، ولم يصل إلى الغرغرة". اهـ

الحلية

أولاً: حلية أهل الجنة:

وحلّي أهل الجنة التي يتحلون بها، فمنها أساور من ذهب، وأساور من فضة، ومنها أساور من اللؤلؤ

قال تعالى: { يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَكُلُوبًا } [الحج: ٢٣]

قال تعالى: { جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَكُلُوبًا وَكِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ } [فاطر: ٣٣]

قال تعالى: { وَحَلَّلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ } [الإنسان: ٢١]

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة **t** أن النبي **r** قال: "يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حلّه، فيلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يا رب زده؛ فيلبس حلّة الكرامة، ثم

يقول: يا رب ارض عنه، فيقال: اقرأ، وارق، ويزاد بكل آية حسنة" (صحيح الجامع: ٨٠٣٠)

- يقول العلامة المباركفوري **r** في "تحفة الأحوزي": "قوله: "يا رب حلّه" الظاهر أنه أمر من التحلية، يقال: حلّيته، أحليه، تحلية: إذا ألبسته الحلية. والمعنى: "يا رب زينّه".

ومن حلّي أهل الجنة التيجان:

- فقد أخرج الترمذي وابن ماجه عن المقدم بن معدي كرب **t** عن رسول الله **r** قال:

"للشهيد عند الله سبع خصال... " ثم ذكر من جملة السبع فقال: "... ويوضع على رأسه

تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها". (صحيح الألباني في "مشكاة المصابيح": ٣٨٣٤)

- وأخرج الحاكم عن بريدة الأسلمي **t** قال: قال رسول الله **r**:

"مَنْ قرأ القرآن وتعلّمه وعمل به، ألبس والده يوم القيامة تاجاً من نور، ضوءه مثل ضوء الشمس... الحديث.

ثانياً: حلية أهل النار:

فإنه تعالى أعدَّ لمن دخل النار سلاسلَ وأغلالاً وقيوداً، أوثق بها أهل الكفر وثاقاً لا يمكن لأحد من العالمين أن يوثقه، وهذا يُصوِّر لنا مدى النكال والعذاب والخزي الذي يعانيه أهل النار

قال تعالى: { فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ } { ٢٥ } { وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ } [الفجر: ٢٥-٢٦]

وقال تعالى: { وَإِذَا الْقَوَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا } [الفرقان: ١٣]

وقال تعالى: { وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ } [إبراهيم: ٤٩]

وقال تعالى: { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا } [الإنسان: ٤]

والأغلال: جمع "غل": وهي الحديدية التي تجمع يد الأسير إلى عنقه. (لسان العرب - مادة "غل")
أما السلاسل فهي جمع: "سلسلة"، وهي: حلقة منتظمة من جهة الطول وكذلك الأصفاد.
والسلاسل لون من ألوان العذاب فهي تقيد الحركة، وترهق الجسد، وتذل النفس

فمن الصور المخزية هذه الأغلال التي توضع في الأعناق

قال تعالى: { وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [سبأ: ٣٣]

وقال تعالى: { إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فِيهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ } [يس: ٨]

فهي أغلال وضعت في الأعناق وبلغت الذقن، فلا يستطيع الإنسان أن ينزل ذقنه إلى أسفل، فدوماً بصره شاخص إلى أعلى

وقال تعالى: { إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّاسِلُ يُسْحَبُونَ } { ٧١ } { فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ } [غافر: ٧١-٧٢]

[غافر: ٧١-٧٢]

وقال تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ } [الرعد: ٥]

السَّكَن

أولاً: مساكن أهل الجنة:

أهل الجنة لهم في الجنة مساكن طيبة يأوون إليها ويتنعمون فيها
قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ
عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ٧٢]، وهذه المساكن التي يسكنها أهل الجنة متنوعة،
فمنها القصور، ومنها البيوت، ومنها الغرف، ومنها الخيام.

- وقد أخرج الطبراني والبزار واللفظ له عن أبي سعيد الخدري **t** عن رسول الله **r** قال:
"خلق الله - تبارك وتعالى - الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك، وقال
لها: تكلّمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك"
(صحيح الترغيب والترهيب: ٩٥١/٤)

وفي الجنة خيام من دُرٍّ مجوف، قال تعالى: {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} [الرحمن: ٧٢]
قال عبد الله بن مسعود **t**: "أي دُرٍّ مجوف"

فالخيمة عبارة عن لؤلؤة واحدة مُجَوَّفَةٌ، طولها في السماء ستون ميلاً، وعرضها مثل ذلك.
- فقد أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري **t** قال: قال رسول الله **r**:
"إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مُجَوَّفَةٌ، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها
أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً"

وجاء في بعض الروايات: "أن عرضها ستون ميلاً"
- ففي "صحيح مسلم" أن النبي **r** قال: "في الجنة خيمة من لؤلؤة مُجَوَّفَةٌ، عرضها
ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن"
- وفي الجنة كذلك قصور، وبيوت، وغرف

وهذه القصور والبيوت والخيام والمساكن الطيبة في جنّات عدن ليست للوقاية من الحرّ أو البرد، وليست
ليرتاح أهلها فيها، وليست للحفظ والستر، فإن الجنة لا حرّ ولا برد فيها، ولا تعب ولا انكشاف فيها، إنها
مساكن طيبة كما أخبر الله تعالى، جُعِلَتْ للبهجة والسرور، والاستمتاع والحبور، تتغير فيها الألوان في
كل آن، وتبسط فيها الوسائد والزرابي تكريماً وإحساناً، ويأنس فيها ولي الله بالأهل والوالدان، وتمد فيها
الموارد في كل الأركان.

ثانياً: مساكن أهل النار:

وأهل النار يسكنون كذلك لكنهم يسكنون في بيوت من نار، ويحبسون في سجون ضيقة، ويُلقَى بهم في أودية مهلكة

فقد أخبر النبي **ر** أن الذي يكذب عليه؛ يُبْنَى له بيت في النار

- ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن ابن عمر **k** عن النبي **ر** قال:

"إن الذي يكذب عليّ يُبْنَى له بيت في النار"

(صحيح الجامع: ١٦٩٤)

• وأما عن السجون:

فقد قال تعالى: **{ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ { ٧ } وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ }** [المطففين: ٧-٨]

{ سِجِّينٌ } فعيل من السجن، وهو الضيق، وقد عظم الله أمره، فقال: **{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ }**

أي أمر عظيم، وسجن مقيم، وعذاب أليم" (الفتح الرباني باختصار: ٧٧/٧)

وهناك سجن في جهنم يسمى بؤس، أعده الله للمتكبرين.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو **k** عن النبي **ر** قال:

"يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بؤس، تَعْلُوهُمُ نَارُ الْأَنْيَارِ، يَسْقُونَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ"

• وهناك أودية يُقَذَّفُونَ فِيهَا وَيَأْوُونَ إِلَيْهَا:

ومن هذه الأودية: وادي الويل

قال تعالى: **{ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ }** [المرسلات: ١٥]، وقال تعالى: **{ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ }** [الأنبياء: ١٨]

- وأخرج الترمذي والحاكم وابن أبي الدنيا عن أبي سعيد الخدري **t** عن رسول الله **ر**

قال: "الويل وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصعود جبل

من نار يصعد فيه سبعين خريفاً يهوي به كذلك فيه أبداً" (صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي)

وقيل: "إن الويل هو التوعّد بالعذاب الشديد".

- وهناك وادي الغي

قال تعالى: { فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا } [مريم: ٥٩]

قال ابن مسعود **t**: "الغي" هو وادٍ في جهنم يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات

(أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار: ص ٤١)

وروي عنه أنه قال في قوله تعالى: { فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا } وادٍ في جهنم بعيد قعره، خبيث طعمه

وقال البراء بن عازب **t**: "الغي": وادٍ في جهنم بعيد القعر، منتن الرائحة

(أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار: ص ٤٦٠)

وهذا كله لا يقال من قبل الرأي، فله حكم الرفع

وقفه:

هل تعلم أخي الحبيب أن أدنى أهل الجنّة منزلة له في الجنّة مثل الدنيا عشر مرات

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود **t** قال: قال رسول الله **r**:

"إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنّة دخولاً، رجل يخرج من النار حبواً،

فيقول الله: اذهب فادخل الجنّة، فيأتيها فيُخَيَّلُ إليه أنها ملىء، فيرجع فيقول: يا رب

وجدتها ملىء، فيقول: اذهب فادخل الجنّة، فيأتيها فيُخَيَّلُ إليه أنها ملىء، فيرجع فيقول:

يا رب وجدتها ملىء، فيقول: اذهب فادخل الجنّة، فإن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول:

تسخر مني - أو: أتضحك مني - وأنت الملك؟ قال عبد الله بن مسعود: فلقد رأيت رسول

الله **r** ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنّة منزلة".

- وأما أهل النار فإنهم يلقون من مكان ضيق لا يتمكّنون فيه من الحركة لضيقه

قال تعالى: { وَإِذَا الْقَوْمُ مِنْهَا مَكَانًا ضَيْقًا مُمَرِّينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا } [الفرقان: ١٣]

قال كعب: "إن في جهنم تناير ضيقة كضيق زج رمح أحدكم، ثم يطبق على أناس بأعمالهم"

وقد مرّ بنا قوله تعالى: { إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ { ٨ } فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ } [الهمزة: ٨-٩]

وجاء من جملة تفسير "العُمد الممددة": "أنها عمد من حديد ملتهبة، يوضع فيها أهل الكفر فتحيط

بهم من كل جانب - نعوذ بالله من الخذلان.

فَأَيُّ الصَّنِيفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!

الفِراش

أولاً: سُرُّ وَأَرَاكُ أَهْلِ الْجَنَّةِ:

فقد ذكر الله تعالى لهذه السُّرُرِ ثلاث صفات هي: -

١- **أنها مصفوفة:** قال تعالى: { **مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ** } [الطور: ٢٠]

فالسرر مصفوفة بعضها إلى جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض، ولا بعيد عن بعض.

٢- **أنها موضونة:** قال تعالى: { **عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ** } { **١٥** } { **مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَّقَابِلِينَ** } [الواقعة: ١٥-١٦]

فالسرر موضونة أي مرصعة بالجواهر ومتقاربة، وقيل: موضونة أي منسوجة بقضبان الذهب، مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد.

٣- **أنها مرفوعة:** قال تعالى: { **فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ** } [الغاشية: ١٣]

- واتكأؤهم على الأرائك والسُّرُرِ على هذا النحو نوع من النعيم، الذي يتمتع به أهل الجنة حين يجتمعون.

- وقال تعالى: { **... مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَاكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** } [الكهف: ٣١]

- وقال تعالى: { **مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَاكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا** } [الإنسان: ١٣]

- وقال تعالى: { **عَلَى الْأَرَاكِ يَنْظُرُونَ** } { **٢٣** } { **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** } [المطففين: ٢٤]

والأرائك: جمع "أريكة"، يقول ابن عباس **k**: "لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة.

(البعث والنشور للبيهقي: ص ٨٢)

وقال مجاهد: "هي الأسيرة في الحجال، والحجال: القبة من القماش تكون على السرير مثلما يوضع

للعروس على سريرها من ضرب الستور والأقمشة على شكل القبة وتعلق فوق السرير"

(لسان العرب: ١١/١٤٤)

فالأريكة سرير عليه الستور، يخلو فيها المؤمن بحبّه.

(انظر الإيمان باليوم الآخر للدكتور علي محمد الصلابي: ص ٢٧٩-٢٨٠)

يقول ابن القيم **ر** كما في "حادي الأرواح": "فتأمل كيف وصف الله **ا** الفرش بأنها مرفوعة،

والزرابي بأنها مبنوثة، والنمارق بأنها مصفوفة، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابي دال

على كثرتها، وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، وصف المساند

يدل على أنها مهياة للاستناد إليها دائماً ليست مخبأة، تصف في وقت دون وقت. والله أعلم.

ثانياً: فراش أهل النار:

النار تكون حول المجرمين من كل مكان، وتحيط بهم من كل جانب

قال تعالى: **{ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ }** [العنكبوت: ٥٤]

وقال تعالى: **{ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا }** [الكهف: ٢٩]

فالنار أمامهم ومن خلفهم، وعن أيمنهم وعن شمائلهم، ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم، بل فراشهم من النار، وغطاؤهم من النار، ووسائدهم من النار.

- قال تعالى: **{ لَّهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ }** [الأعراف: ٤١]

فالمهاد: هو الفراش، والغواش: جمع "غاشية" أي: نيران تغشاهم، وهي الأغشية: كاللحاف" (قاله محمد بن كعب والضحاك والسدي)

فمقصود الآية: أنهم يفترشون النار، ويلتحفون بالأحفة من النار

- وقال تعالى: **{ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا }** [الإسراء: ٨]

قال الحسن r: "أي فراشا ومهاداً، وقال قتادة: **{ حَصِيرًا }** أي محبساً حُصِرُوا فيها، فلا يفلت منهم أحد".

- فالنار محدقة ومحيطة بهم من كل مكان، كما قال الواحد الديان:

{ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [العنكبوت: ٥٥]

- وقال تعالى: **{ لَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ }** [الزمر: ١٦]

والظل: هي أطباق من النار كثيرة متراكمة، من فراش ومهاد وسرادقات...
وإطلاق الظل عليها تهكماً؛ لأن الظلة تقي من الحر، لكن هذه الظلة لا تقي من حر جهنم.

ملحق:

إتماماً للفائدة أذكر هنا نعيم أهل الجنة، وكذا عذاب أهل النار، ليقارن كلُّ منا بين هذا وذاك، وليختر من أي الصنفين يحب أن يكون؟!!

صور من نعيم أهل الجنة

١) ومن نعيم أهل الجنة: أنهم ينزلون منها حيث شاءوا، ويتبوءون منها حيث أرادوا:

قال تعالى: { ... وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَبَاً مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } [الزمر: ٧٤]

٢) ومن ألوان النعيم في الجنة: التسبيح والتكبير:

فقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة **t**:

"أن النبي **r** وصف أول زمرة تدخل الجنة... " ثم قال في آخر الحديث: "... يسبحون الله

بكرة وعشياً" وهذا ليس على سبيل التكليف، فالجنة دار جزاء وإنعام، وليست دار تكليف واختبار.

- وقد نقل الحافظ ابن حجر **r** في "فتح الباري" (٣٢٦/٦) قول القرطبي **r** حيث قال:

"هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام! وقد فسره جابر في حديثه عند مسلم بقوله: "يُلْهَمُونَ التسبيح

والتكبير كما تُلْهَمُونَ النفس"، ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه ولا بد منه، فجعل

تنفسهم تسبيحاً، وسببه أن قلوبهم تتورت بمعرفة الرب سبحانه، وامتألت بحبه، ومن أحب شيئاً أكثر من

ذكره".

وقد قرر شيخ الإسلام **r** كما في "مجموع الفتاوى" (٣٣٠/٤):

"أن هذا التسبيح والتكبير لون من ألوان النعيم الذي يتمتع به أهل الجنة، قال: هذا ليس من عمل

التكليف الذي يطلب له الثواب منفصل، بل نفس هذا العمل من النعيم الذي تنتعم به الأنفس وتتلذذ به".

٣) ومن نعيم أهل الجنة: أنهم منزّهون عن الأذى: من غائط أو بول أو مخاط أو بزاق:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله **r**:

"أول زمرة تدخل الجنة من أمّتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد

نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل، لا يتغوطون، ولا يتبولون، ولا يمتخطون،

ولا يبرزقون".

٤) **ومن نعيم أهل الجنة: أنهم لا يسمعون فيها ما يؤذيهم، ويسمعون ما تلت الأذن بسماعه**

- فأهل الجنة: **{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا}** أي باطلاً من القول، **{وَلَا تَأْثِيمًا}** [الواقعة: ٢٥]، أي ولا أي قول يجلب الآثام: **{إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا}** [الواقعة: ٢٦] أي ما يسمعون هو الكلام الآمن من الآثام والذنوب والمعاصي.

- ويسمعون أيضاً السلام الذي يلقي عليهم، سلام من ربهم؛ كما قال سبحانه: **{سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ}** [يس: ٥٨]، وقال تعالى: **{تَحِيَّاتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ}** [الأحزاب: ٤٤]

وسلاماً من خزنة الجنة، كما قال تعالى: **{وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}** [الزمر: ٧٣]
وسلاماً من الملائكة، كما قال تعالى: **{وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ}** {٢٣} **{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}** [الرعد: ٢٣- ٢٤]

- وأهل الجنة لهم سماع من الملائكة لم يسمعو بمثله قط

يقول شهر بن حوشب: "روي أن الله تعالى يقول للملائكة: إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلي، فأسمعوا عبادي، فيأخذون في تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعو بمثله قط".

- ولأهل الجنة كذلك لهم سماع من نوع خاص

فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي لبابة **t** قال:

"إن في الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ، فيبعث الله ريحاً فتصفق؛ فتسمع لها أصوات لم يسمع أذن منها".

- وهناك سماع يستفرغ نعيم أهل الجنة، وهو سماع داود عندما يمجده رب العالمين

فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينار أنه قال:

"إذا كان يوم القيامة؛ أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة ثم نودي يا داود، مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة فذلك قوله تعالى: **{وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ}** [ص: ٤٠]"

- بل هناك سماع ما هو أعلى من هذا، وهو سماع الغناء من الحور العين

قال رب العالمين في كتابه الكريم: **{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}** [الروم: ١٥]

وقال تعالى: **{ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ}** [الزخرف: ٧٠]

- قال يحيى بن أبي كثير **r**: "الحبرة: يعني اللذة وسماع الغناء".

ومعنى يحبرون: "أي يسمعون ما تلت الأذن بسماعه، وتتعلم بسماعه" (البعث والنشور للبيهقي: ص ٢١١)

- وقال تعالى: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ} [يس: ٥٥]

وقوله: {فَكَهُونٍ} الفكاهة المزاح والكلام الطيب، والمتفكه هو المتنعم. (تفسير القرطبي: ١٥/ ٣١)

وأخرج الطبراني عن ابن عمر **K** قال: قال رسول الله **r**:

إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهنَّ بأحسن أصوات، ما سمعها أحد قط، إن مما يغنين:

نحن الخيِّرات الحسان ^(١) أزواج قوم كرام

ينظرون بقرّة أعيان

وإن مما يغنين به:

نحن الخالدات فلا يمتهن نحن الأمّات فلا يخفنه

نحن المقيّمات فلا يظعنّه ^(٢) (صحيح الجامع: ١٥٦١)

- بل هناك سماع أعلى من هذا كله، وهو سماع القرآن من الرحمن، يقول ابن القيم **r**:

"ولأهل الجنة سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع، وذلك حين يسمعون كلام الرب - جل جلاله - وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرتهم لهم، ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعه قبل ذلك" اهـ

ففي "كتاب السنّة" لعبد الله بن الإمام أحمد عن النبي **r** قال: "كأن الناس يوم القيامة لم

يسمعوا القرآن إذا سمعوه من الرحمن، فكأنهم لم يسمعه قبل ذلك"

- وقد روى أبو الشيخ عن عبد الله بن بريدة **K** قال:

"إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار - جلّ جلاله -، فيقرأ عليهم القرآن، وقد

جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدرّ والياقوت والزبرجد والذهب

والزمرّد، فلم تقر أعينهم بشيء، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون

إلى رحالهم ناعمين، قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد".

فاللهم ارزقنا لذة السماع في الجنة، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم.

(١) الحسان: جمع حسناء وهي المرأة الجميلة.

(٢) يظعنّه: والظعن هو الارتحال والسفر.

٥) **ومن نعيم أهل الجنة: أنهم لا يرون فيها حراً ولا برداً:**

قال تعالى: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا} [الإنسان: ١٣]

٦) **ومن نعيم الله وتكريمه لأهل الجنة: أن الجنة تقرب لهم ولا يقربون هم إلى الجنة:**

قال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الشعراء: ٩٠]

قال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ} [ق: ٣١]

وقال تعالى: {وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ} ^(١) [التكوير: ١٣]

٧) **ومن نعيم أهل الجنة: ما ذكره الترمذي في "الشمائل" عن تقي بن مانع t أن**

رسول الله ﷺ قال: "إن من نعيم الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول؛ يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله، فيأتيهم مثل السحابة، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون: أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانهم، ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية؛ فتتسفف كتبنا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقهم وفي رعوسهم، ولكل رجلٍ منهم جُمَّة على ما اشتتهت نفسه، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام، وفي الخيل، وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك: عبد الله أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت، فتقول: أنا زوجتك وحبك، فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أو ما تعلم أن الله تعالى قال: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧]، فيقول: بلى وربي، فاعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم".

(حسنه الألباني في "مختصر الشمائل المحمدية" للترمذي برقم ٢٠٥)

(١) أزلفت: أي قربت.

٨ **ومن نعيم أهل الجنة: أن يرزقهم الله راحة البال:**

قال تعالى: {وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} {٤} {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} [محمد: ٤-٥]

٩ **ومن نعيم أهل الجنة: دوام ما هم فيه من النعيم وعدم زواله:**

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة **k** عن النبي **r** قال: "ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله **U**: {وَتُؤَدُّوا أَنْ تُلَكُّمُ الْجَنَّةُ أَوْ تُرْتَمَوْهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: ٣٤]"

- ولأن أهل الجنة يتقلبون في ألوان النعيم، فهم لا يرغبون في التحول عنها، قال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} {١٠٧} {خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا}

[الكهف: ١٠٧-١٠٨]

١٠ **ومن نعيم أهل الجنة: أن الله تعالى يرزقهم نعمة الرضا:**

قال تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ

الرَّازِقِينَ} {٥٨} {لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ} [الحج: ٥٨-٥٩]

وقال تعالى واصفاً عيشهم: {فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ} [الحاقة: ٢١]

- وفي الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري ومسلم وفيه:

"... أن الله **U** يسأل أهل الجنة فيقول لهم: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا

رب؟ وقد أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك... " الحديث

ولقد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} {٢٧} {ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} {٢٨} {فَادْخُلِي فِي

عِبَادِي} {٢٩} {وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر: ٢٧-٣٠]

١١) ومن نعيم أهل الجنة: أن لهم فيها ما تشتهيهم أنفسهم:

قال تعالى: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: ٣٥]

قال تعالى: {يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف: ٧١]

وهذا واحد من أهل الجنة يشتهي أن يزرع، فيستأذن ربه، فيأذن له، فما يكاد يلقي البذر حتى يكبر الزرع ويضرب بجزوره، في الأرض ثم ينمو، ويكتمل، وينضج في نفس الوقت.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة **t**: "أن النبي **r** كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية، فقال النبي **r**: أن رجلاً من أهل الجنة أستأذن ربه في الزرع، فقال: أولست فيما شئت؟^(١) قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع...، فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته^(٢) واستواؤه واستحساؤه وتكويره، أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء، فقال الأعرابي: يا رسول الله، لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلنسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله".

وهذا رجل آخر تمنى الولد؛ فيحقق الله له أمنيته في ساعة واحدة، حيث تحمل زوجته وتضع في ساعة واحدة.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري **t** قال: قال رسول الله **r**: "المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة، كان حملاًه ووضعهُ وسِنَّهُ في ساعة واحدة، كما يشتهي".

(صحيح الجامع: ٦٦٤٩)

١٢) ومن أفضل نعيم أهل الجنة: إحلال الرضوان من الرحمن:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري **t** قال: قال رسول الله **r**: "إن الله - تبارك وتعالى - يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك والخير في يدك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول ألا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانين فلا أسخط عليكم بعده أبداً".

(١) أي فيما شئت من أنواع النعيم وألوان الطعام والشراب.

(٢) أي سابق النظر.

- ورضا الله تعالى عن أهل الجنة أكبر وأفضل وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم؛ قال تعالى:
{ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة: ٧٢]
وقوله: { وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ } أي رضا الله عنهم أكبر وأعظم من أي نعيم هم فيه.

١٣) ومن أفضل نعيم أهل الجنة كذلك: رؤية وجه الله تعالى:

ورؤية وجه الله تعالى أفضل ما يعطاه أهل الجنة، فيقول نو النون **ر**: "والله ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤية وجهه".
- ويقول ابن الأثير **ر** في "جامع الأصول" (١٠ / ٥٥٧): "رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا في عطايا الله الفاخرة، بلغنا الله منها ما نرجو".

فرؤية الله في الجنة هي أعلى الكرمات، وأفضل العطايات، وأسمى الهبات، وأقصى الأمنيات، وهي الغاية التي لا تتجاوز بعدها، وهي المنتهى الذي ليس بعده شيء، وهي المتعة واللذة والنعيم الذي يتضاءل عنده أي نعيم وأي لذة".

وقد أخرج الإمام مسلم والترمذي عن صهيب الرومي **t** أن رسول الله **ر** قال:

"إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول - تبارك وتعالى -: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم **ل**، ثم تلا هذه الآية: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} "

[يونس: ٢٦]

وفي رواية أن النبي **ر** قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً، يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يُنقل الله موزائنا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويُنجينا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم".

وقد كان النبي **ر** يدعو ويقول:

"... وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة..."
(رواه النسائي والحاكم عن عمار **t**، وهو في صحيح الجامع: ١٣٠١)

فاللهم ارزقنا لذة النظر لوجهك الكريم... أمين

صور من عذاب أهل النار

هناك عذاب حسي لأهل النار، وكذا هناك عذاب معنوي

• أولاً: العذاب الحسي:

ومن صور العذاب الحسي:

١ - تسليط العطش على أهل النار:

وهو من أشد عذاب أهل النار قسوة

قال أبو عمران الجوني: بلغنا أن أهل النار يبعثون عطاشاً، ثم يقفون مشاهد القيامة عطاشاً، ثم قرأ:

{ وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرُدًّا } [مريم: ٨٦]

{ وَرُدًّا } قال الضحاك: "يعني عطاشاً"، وقال مجاهد: "منقطعة أعناقهم من العطش".

فعندما يقوم الناس جميعاً لرب العالمين يوم القيامة، ويقفون في أرض المحشر خمسين ألف سنة حفاة عراة غرلاً، لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ولا يستظلون، ثم يساق أهل النار إلى النار وقد تقطعت أعناقهم من شدة العطش، يقول الحسن البصري r: "ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة؛ حتى انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً، ثم انصرف بهم إلى النار؛ فيسقون من عين آنية قد آن حرها واشتد نضجها.

- وفي "الصحيحين" عن أبي سعيد t عن النبي r في حديث الشفاعة الطويل:

"إنه يقال لليهود والنصارى: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا

تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار".

وهنا ينادي أهل النار على أهل الجنة أن يفيضوا عليهم من الماء، ولكن الجواب كما وصف رب

العالمين في كتابه الكريم هذا المشهد، فقال تعالى: { وَوَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا

مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ } [الأعراف: ٥٠]

فالعطش يسلط عليهم وهو لون من ألوان العذاب، فإذا أذن الله لهم في الشراب كان شرابهم الحميم، والمهل، والغساق، والصدید.

نعوذ بالله من الخذلان.

٢- تقييد أهل النار في السلاسل والأغلال:

فإنه تعالى أعدَّ لمن دخل النار سلاسل وأغلالاً وقيوداً، أوثق بها أهل الكفر وثاقاً لا يمكن لأحد من العالمين أن يوثقه، وهذا يُصوِّر لنا مدى النكال والعذاب والخزي الذي يعانيه أهل النار

قال تعالى: { فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ } { ٢٥ } { وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ } [الفجر: ٢٥-٢٦]

وقال تعالى: { وَإِذَا الْقَوَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ تَبُورًا } [الفرقان: ١٣]

وقال تعالى: { وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ } [إبراهيم: ٤٩]

وقال تعالى: { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا } [الإنسان: ٤]

والأغلال: جمع "غل": وهي الحديدية التي تجمع يد الأسير إلى عنقه. (لسان العرب - مادة "غل")
أما السلاسل فهي جمع "سلسلة"، وهي: حلقة منتظمة من جهة الطول وكذلك الأصفاد.
والسلاسل لون من ألوان العذاب فهي تقييد الحركة، وترهق الجسد، وتذل النفس

فمن الصور المخزية هذه الأغلال التي توضع في الأعناق

قال تعالى: { وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [سبأ: ٣٣]

وقال تعالى: { إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ } [يس: ٨]

فهي أغلال وضعت في الأعناق وبلغت الذقن، فلا يستطيع الإنسان أن ينزل ذقنه إلى أسفل، فدوماً بصره شاخص إلى أعلى

وقال تعالى: { إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ } { ٧١ } { فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ } [غافر: ٧١-٧٢]

[غافر: ٧١-٧٢]

وقال تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ } [الرعد: ٥]

- وقال ابن عباس **K** عند قوله تعالى: {يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ} {الرحمن: ٤١}

[الرحمن: ٤١]

قال: "يجمع بين رأسه ورجليه، ثم يقذف كما يقذف الحطب"

(البعث والنشور للبيهقي: ص ٢٨٦)

وأم جميل - امرأة أبي لهب - في عنقها حبل من نار قد طوقت به، قال تعالى:

{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} [المسد: ٥]

وقال تعالى: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا} {١٢} {وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا} [المزمل: ١٢-١٣]

والأنكال: هي القيود، وسميت القيود أنكالاً، لأن الله يعذبهم بها، وينكل بهم بها

وقال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ} {٢٥} {وَلَمْ أُدْرِمَ حِسَابِيهِ} {٢٦} يَا

لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ} {٢٧} {مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ} {٢٨} {هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ} {٢٩} {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ} {٣٠} {ثُمَّ

الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} {٣١} {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة: ٢٥-٣٢]

- قال ابن عباس **K**: في قوله تعالى: {ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا} [الحاقة: ٣٢]، قال: بذراع الملك (١)

(تفسير الطبري: ٢٩-٦٣)

تدخل السلسلة في دبره وتخرج من حلقه، ثم يجمع بين ناصيته وقدميه، ثم ينظّمونه كما ينظّم الجراد في

العود حين يُشوى" (تفسير ابن كثير: ٤/٥٣٥)

٣- ضرب أهل النار بمقامع من حديد:

قال تعالى: {وَلَهُمْ مَّقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ} {٢١} {كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ

الْحَرِيقِ} [الحج: ٢١-٢٢]

والملائكة تهوي بهذه المطارق على الذين يحاولون الفرار والخروج من النار، وكيف الفرار وجهنم عليهم مؤصدة، وهم في عمد ممددة، وهم في القيد والأغلال، ولكن لفتح النار يجعلهم يحاولون الفرار، فلا يجدون إلا المقامع على رأسهم تهوي، وإذا بهم يطرحون مرة أخرى في الجحيم، ومن لفتحها وحرها يعانون.

(١) وقال فريق من أهل العلم: "إن المقصود بالعدد سبعون، التكاثر والتضعيف، وهذا معروف في لغة العرب، فلا يراد بها حصر العدد حقيقة، وإنما للدلالة على الكثرة، يقول الزمخشري: "وجعلها سبعين ذراعاً إرادة الوصف بالطول كما قال تعالى: {إِنَّ تَسْتَعْفِفُونَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً} [التوبة: ٨٠]، يريد مرات كثيرة، فالسلسلة إذا طالت كان الإرهاق أشد. (الكشاف: ٤/١٥٣)

٤- صب الحميم فوق الرؤوس (وهو ما يعرف بالصر):

والحميم هو ذلك الماء الذي انتهى حره، فلتدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم

قال تعالى: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ} {١٩} يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ

{وَالْجُلُودُ} [الحج: ١٩-٢٠]

- وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة **t** عن النبي **r** قال:

"إن الحميم ليصب على رؤوسهم، فينفذ حتى يخلص إلى جوفه؛ فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان"

- وعند الحاكم: أن أبا هريرة **t** تلا قوله تعالى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا

قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}، فقال: سمعت رسول الله **r** يقول: "إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق قدميه وهو الصهر، ثم يعاد كما كان".

وقد نزل قوله تعالى في شأن أبي جهل: {خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ} {٤٧} ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ

مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ {٤٨} ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: ٤٧-٤٩]

يقال له هذا على سبيل التقريع والاستهزاء به، فإنك كنت في الدنيا تزعم إنك العزيز في قومك، الكريم في حسبك، فذق هذا العذاب المنزل المهين.

٥- الله **U** يذيب بعض أهلها في النار كما يذاب الرصاص:

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم وفيه: "... ولا يريد أحدٌ أهلَ المدينة بشرًّا إلا أذابه

الله في النار ذوب الرصاص، أو ذوب الملح في الماء..." الحديث

٦- تبديل الجلود:

الجلود يوم القيامة تضخم وتغلظ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله **r**:

"... وغلظ جلده - أي الكافر - مسيرة ثلاثة أيام"

- وفي رواية عند الترمذي: **"وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار^(١)"**

- وفي رواية للحاكم: **"وعرض جلده سبعون ذراعاً"**

- **والحكمة من تغليظ سمك جلد الكافر:**

أن هذا أشد في الإيلام، وأكثر في العذاب، وأطول في المدة، فكلما كان الجلد غليظ سميك تأكل فيه النار، وبطول مدة العذاب، بخلاف ما إذا كان الجلد رقيق كحال البشر الآن؛ فإنه سرعان ما يتساقط من شدة النار، مع الأخذ في الاعتبار أن نار الآخرة أشد من نار الدنيا بسبعين مرة

وهذه الجلود الغليظة كلما أكلتها النار تبدلت وتغيرت

كما قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَّاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا**

الْعَذَابِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا } [النساء: ٥٦]

- **والحكمة في تبديل الجلود دون غيرها من أعضاء الجسم:**

أن العلم الحديث اكتشف أن مراكز الإحساس تكون بالجلد، وهذه الحقيقة العلمية قد أخبر عنها القرآن منذ أكثر من ألف عام - كما في الآية السابقة، فكلما تساقطت الجلود من لفح النار ولظاها، بدّلها الله بجلود غيرها؛ ليذوقوا العذاب ويشعروا بالألم.

ومعلوم لدينا أن الجلد يحيط بجسد الإنسان كله، فإذا كان المحترق هو الجلد والذي يحتوي على الخلايا العصبية، ومراكز الإحساس؛ فإن كل خلية في الجسد تتألم وتتعذب.

اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار

(١) أي جبار من جبابرة البشر ممن كان في القرون الأولى، فقد كانوا أعظم خلقاً، وأطول ذراعاً من الناس اليوم، - وقال المنذري كما في "تحفة الأحوذى" (٣٧٢/٦): "الجبار ملك باليمن له ذراع معروف المقدار، وقال البيهقي: أراد التهويل، أي بلفظ الجبار، ويحتمل إرادة جبار من الجبابرة" (فيض القدير: ٥٥٤/٥)

٧- السحب في النار على الوجه:

قال تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ { ٤٧ } يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ {

[القمر: ٤٧-٤٨]

ويسحبون في النار مقيدون بالقيود والسلاسل والأغلال، وهذا فيه ما فيه من التنكيل والإهانة والعذاب، قال تعالى: { ... فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ { ٧٠ } إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ { ٧١ } فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي

النَّارِ يُسْحَرُونَ } [غافر: ٧٠-٧٢]

قال قتادة: "يسحبون مرة في النار، وفي الحميم مرة" (التخويف من النار لابن رجب ص ١٤٧)

٨- اندلاق الأمعاء في النار:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد **k** قال: قال رسول الله **r**: "يجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلْقَى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ما شأنك، أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمرم بالمعروف ولا آتية، وأناهاكم عن المنكر وآتية".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر **t** في حديث طويل وفيه أن النبي **r** قال: "..... ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يَجْرُ قُصْبَهُ في النار ^(١)، وإنهم كانوا يقولون: إن الشمس والقمر لا يخسفان إلا لموت عظيم، وإنهما آيتان من آيات الله يريكموهما؛ فإذا خسفا فصلوا حتى ينجلي"

- وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة **t** عن النبي **r** قال: "رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يَجْرُ قُصْبَهُ في النار، وكان أول من سيب السوائب ^(٢)"

(١) يَجْرُ قُصْبَهُ: القصب هي الأمعاء.

(٢) سيب السوائب: تشريع سنَّه عمرو للعرب، أنه حرَّم ما أحل الله تعالى، فقد حرَّم أنواع من الأنعام بأسباب لم ينزل الله بها من سلطان، كان يمنع ذبح تلك الحيوانات وحلبها والركوب عليها، قال سعيد بن المسيب: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت، ولا يحلبها أحد من الناس، والسائبة التي يُسَيِّبُونَهَا لآلهتهم، فلا يحمل عليها شيء.

٩- أنهم يصرخون في النار من شدة العذاب ولا يجدون مَنْ يزيل شكواهم أو ينصرهم:

قال تعالى: { حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ { ٦٤ } لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مَنًّا لَا تَتَصَرَّوْنَ }

[المؤمنون: ٦٤- ٦٥]

يَجَارُونَ: أي يعرضون مستغيثين بربهم.

١٠- أنهم يطوفون بين جهنم وبين حميم آن- وهو الماء الذي انتهت حرارته:

قال تعالى: { هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ { ٤٣ } يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ }

[الرحمن: ٤٣- ٤٤]

١١- أن من أهل النار مَنْ يُلْقَى فِي مَكَانٍ ضَيْقٍ لَا يَتِمَّكَنُ فِيهِ مِنَ الْحَرِّكَةِ لَضِيْقِهِ:

قال تعالى: { وَإِذَا الْقَوْمُ مِنْهَا مَكَانًا ضَيْقًا مُتَقَرِّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا }

[الفرقان: ١٣]

قال كعب: "إن في جهنم تتانير ضيقة كضيق زج رمح أحكم، ثم يطبق على أناس بأعمالهم"

وقد مر بنا قوله تعالى: { إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ { ٨ } فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ }

[الهمزة: ٨- ٩]

وجاء من جملة تفسير "العُمد الممددة": "أنها عمد من حديد ملتهبة، يوضع فيها أهل الكفر فتحيط بهم من كل جانب - نعوذ بالله من الخذلان.

١٢- تسلية الحيات والعقارب على أهل النار:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان وصححه من حديث عبد الله بن الحارث **t** أن النبي **r**:
"إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت^(١) تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة^(٢) تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة"

(الصحيحة: ١٤٦٥)

وكذلك هناك عقارب أنيابها كالنخل الطوال

يقول عبد الله بن مسعود **t** في قوله تعالى: { زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ } [النحل: ٨٨]، قال:

"زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال" (قال الهيثمي في "المجمع": "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)

- أورد ابن رجب **r** في كتابه "التخويف من النار" عن ابن مسعود **t** في قوله:

{ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ } [ص: ٦١]، قال: "حيات وأفاعي"

(١) البخت: وحدها "البختية"، وهي الناقة طويلة العنق ذات السنامين.
(٢) الموكفة: المحملة.

- وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة **t** أن رسول الله **r** قال: "مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ؛ مَثَلٌ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعاً أَقْرَعٌ لَهُ زَبِيبَتَانِ يَطْوِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ - يَعْنِي شِدْقَهُ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَذَلِكَ، ثُمَّ تَلَا: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاءَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [آل عمران: ١٨٠]"

١٣- إرهاب أهل النار بصعود جبل من نار في جهنم:

وقال تعالى: {وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا} [الجن: ١٧]

وقال تعالى: {سَأْرَهْقُهُ صَعُودًا} [المدثر: ١٧]

أي سننزل به عذاباً شاقاً، يرهقه ولا يطيقه، فيكون حاله كحال مَنْ يكلف صعود جبل وعر، وقيل: "إنه على الحقيقة، أي سيكلفه الله يوم القيامة بصعود جبل من نار في جهنم.

١٤- أنهم جثاة على الركب:

قال تعالى: {وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا} [مريم: ٧٢]

١٥- أن لهم في جهنم زفير، لو نفتح به على أهل الأرض لأحرقتهم:

قال تعالى: {لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} [الأنبياء: ١٠٠]

- وأخرج البزار وأبو يعلى عن أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله **r**: "لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون، وفيهم رجل من أهل النار فتنفّس؛ فأصابهم؛ لأحرق من في المسجد أو يزيدون" (السلسلة الصحيحة: ٢٥٠٩)

وكما أن لهم زفير فلهم فيها أيضاً شهيق

قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ} [هود: ١٠٦]

قال الزجاج **r**: "الزفير من شدة الأنين وهو المرتفع جداً، وقيل الزفير: "ترديد النَّفْسِ فِي الصَّدرِ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ حَتَّى تَنْتَفِخَ مِنْهُ الأضلاع، والشهيق: هو النَّفْسُ الطَّوِيلُ الممتد، أو رد النفس إلى الصدر".

١٦ - مسخ البعض بأشكال قبيحة:

دليل ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة **t** عن النبي **r** قال:

"يَلْقَى إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِهِ قَتْرَةٌ وَغَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ: إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تَخْزِيَنِي يَوْمَ يَبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يَقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ ^(١) مُتَلَطِّخٌ؛ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ، فَيَلْقَى فِي النَّارِ"

١٧ - أَنْ أَهْلَ النَّارِ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَلَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ:

• أما كونهم لا يموتون فيها:

فقد جاءت الآيات القرآنية تدل على هذا منها: -

قوله تعالى: {لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا} [فاطر: ٣٦]

وقوله: {لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} [طه: ٧٤]

وقوله: {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ} [إبراهيم: ١٧]

- قال ابن كثير **r** في تفسير هذه الآية: "أي يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه"

- وقال ميمون بن مهران: "من كل عظم وعرق وعصب، وقال عكرمة: "حتى من أطراف شعره".

- وقد بيّن النبي **r** في الحديث الصحيح:

"أن الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح، وإذا ذبح الموت حصل اليقين بأنه لا موت،

كما قال **r**: "يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت"

(والحديث عند البخاري من حديث ابن عمر **k**)

(١) الذبخ: هو ذكر الضبع، ولا يقال له: ذبخ إلا إذا كان كثير الشعر. (فتح الباري)

• أما عدم تخفيف العذاب عنهما:

فقد جاءت الآيات تدل على أنه لا يخفف العذاب عن أهل النار

قال تعالى: {وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر: ٣٦]

وقوله: {فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا} [النبا: ٣٠]

وقوله: {لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف: ٧٥]

وقوله: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} [الفرقان: ٦٥]

وقوله: {فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} [الفرقان: ٧٧]

وقوله: {فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} [النحل: ٨٥]

وقوله: {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّتِمِّمٌ} [المائدة: ٣٧]

• أما عدم إخراجهم من النار:

فيدل عليه قوله تعالى: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: ١٦٧]

قوله تعالى: {كَلَّمَآ أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} [الحج: ٢٢]

وقوله تعالى: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّتِمِّمٌ} [المائدة: ٣٧]

وعدم الإخراج من النار يكون في حق الكفار والمشركين، أما عصاة الموحدين فإنهم يخرجون من النار بإذن رب العالمين-

١٨ - ومن أعظم صور العذاب على أهل النار: أنهم ينسون فيها:

قال تعالى: {فَالْيَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [الأعراف: ٥١]

- وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة **t** عن النبي **r** قال:

"يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيقال له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخرتُ لك الأنعام والحرثَ، وتركتك ترأساً وتربعاً، فكنْتَ تظنُّ أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول

له: اليوم أنساك كما نسيتني"

(صحيح الجامع: ٧٩٩٧)

• ثانياً: العذاب المعنوي:

ومن صور العذاب المعنوي:

١- تكبيت الملائكة لهم عند دخولهم النار:

قال تعالى: { تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كَلِمَا لَقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } { ٨ } { قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ } [الملك: ٨ - ٩]

٢- سخرية المؤمنين منهم يوم القيامة:

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ } { ٢٩ } { وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ } { ٣٠ } { وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ } { ٣١ } { وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ } { ٣٢ } { وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ } { ٣٣ } { فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ } { ٣٤ } { عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ } { ٣٥ } { هَلْ تُؤْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } [المطففين: ٢٩ - ٣٦]

- يقول القرطبي ٣ في "تفسيره" (٢٦٨/١٩): "يقال لأهل النار وهم في النار: "اخرجوا، فتفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت؛ أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم، فيضحك منهم المؤمنون".

وقوله تعالى: { هَلْ تُؤْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } أي هل جوزي الكفار في الآخرة بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين من السخرية والاستهزاء؟ والجواب: نعم. لقوا جزاء السخرية والاستهزاء

٣- أن الشيطان يتبرأ من أهل النار وهم الذين أطاعوه في الدنيا وخالفوا أوامر الله:

فالشيطان في الدنيا كان يدعو الناس إلى النار فأجابه الكثير، كما قال تعالى:

{ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ } [لقمان: ٢١]

وقال تعالى عن الشيطان: { إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر: ٦]

وعندما يدخل الناس النار مع الشيطان الذي دعاهم إليها، يقف خطيباً فيهم، ويصور القرآن الكريم هذا المشهد المخزي، وقال الشيطان: { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّكُمْ وَمَا أَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا

أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [إبراهيم: ٢٢]

٤- عدم المواساة:

من المعلوم في الدنيا أن صاحب البلاء إذا رأى غيره ممن ابتلي بمصيبته فإن ذلك يُخَفِّفُ عنه حزنه، وهذا ما قالته الخنساء عندما فقدت أخاها صخرًا فقالت:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن أعزي النفس منه بالتأسي

فهذا في الدنيا، أما في الآخرة فإن الله حرم أهل النار هذه المواساة، فلا يواسي بعضهم بعضاً، ولا يُخَفِّفُ بعضهم على العذاب شدة المعاناة والآلام، فالكل مشترك في العذاب، قال تعالى:

{ وَكَانَ يَنْفَعُكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ } [الزخرف: ٣٩]

٥- تحقير أهل النار وإهانتهم:

قال تعالى: { كَلَّا لَيُنَبَّذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ { ٤ } وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ { ٥ } نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ { ٦ } الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ { ٧ } إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ { ٨ } فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ { ٩ } [الهمزة: ٤- ٩]

فقوله: { لَيُنَبَّذَنَّ } والنَّبذ يستخدم للتحقير، والمهانة، والذل، يقال: "فلان منبوذ"، أي مهان محقر، لا نصير له ولا معز، فهذا إضافة لعذابهم البدني بالنار، فإنهم يعذبون عذاباً نفسياً بالمهانة والتحقير.

٦- أنهم يُمنعون من الكلام:

قال محمد بن كعب: "لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله U في أربعة؛ فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً، يقولون: { رَبَّنَا أُمَّتًا انْتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا انْتَيْنِ فَاغْرَقْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ } [غافر: ١١] فيقول الله تعالى مجيباً لهم: { ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ } [غافر: ١٢]

ثم يقولون: { رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَّبِعِ الرُّسُلَ . . . } [إبراهيم: ٤٤]

فيجيبهم الله تعالى: { . . . أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ } [إبراهيم: ٤٤]،

فيقولون: { رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ . . . } فيجيبهم الله تعالى:

{ . . . أَوْلَمْ نَعْتَمِدْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ } [فاطر: ٣٧]

ثم يقولون: { قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ } { ١٠٦ } رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ }

فيجيبهم الله تعالى: { قَالَ اخْسُؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ } [المؤمنون: ١٠٦ - ١٠٨]

فلا يتكلمون بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب.

- قال مالك بن أنس **t**: "قال زيد بن أسلم في قوله تعالى:

{سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرِعْنَا أَمْ صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ} [إبراهيم: ٢١]، قال: "صبروا مائة سنة، ثم جزعوا مائة سنة،

ثم صبروا مائة سنة، ثم قالوا: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرِعْنَا أَمْ صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ} [إبراهيم: ٢١]

٧- أنهم يرون الذين كانوا يسخرون منهم ويستهنئون بهم من أهل الإيمان؛ قد فازوا بالرضا والرضوان؛ ونجوا من غضب الملك الديان:

قال تعالى: {وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ} {٦٢} {أَتَّخَذْنَا لَهُمْ سِخْرِيًا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ} [ص: ٦٢-٦٣]

٨- أنهم يلعن بعضهم بعضاً، ويسب بعضهم بعضاً:

قال تعالى: {كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} [الأعراف: ٣٨]

ويتبرأ الكبراء من المستضعفين ويقول المستضعفون، كما قال تعالى: {لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا

مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: ١٦٧]

٩- قرن أهل النار بمعبوداتهم وبشياطينهم في جهنم:

كان الكفار والمشركون في الدنيا يعظمون الآلهة التي يعبدونها من دون الله، ويدافعون عنها، ويبذلون في سبيل ذلك النفس والمال، وفي يوم القيامة يُدْخِلُ الحق تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله النار، إهانة لعابديها وإذلالاً لهم، ليعلموا أنهم كانوا ضالين، يعبدون ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً

{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} {٩٨} {لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا

خَالِدُونَ} [الأنبياء: ٩٨-٩٩]، وقال تعالى: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} {٢٢} {مِنْ دُونِ

اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات: ٢٢-٢٣]

- يقول ابن رجب **ر** كما في كتابه "التخويف من النار" (ص ١٠٥):

"لما عبد الكفار الآلهة من دون الله، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه، عوقبوا بأن جعلت معهم في النار إهانة لهم وإذلالاً، ونكاية لهم وإبلاغاً في حسرتهم وندامتهم، فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمن كان سبب عذابه؛ كان أشد في ألمه وحسرتة-

ومن أجل ذلك يقذف في يوم القيامة بالشمس والقمر في النار، ليكونا ممّا توقد به النار، تبيكيتاً للظالمين الذين كانوا يعبدونها من دون الله، ففي الحديث الذي رواه البيهقي في "شعب الإيمان" وكذا رواه البزار أن الحبيب المختار **ر** قال: "الشمس والقمر مكوران في النار"

- يقول القرطبي **ر**: "وإنما يجمعان في جهنم، لأنهما قد عُبدَا من دون الله، لا تكون النار عذاباً لهما، لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبيكيت الكافرين وحسرتهم، هكذا قال بعض أهل العلم" ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم ليكون أشد لعذابهم: { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } { ٣٦ } وَأَنْهُمْ لَيَصْدُونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } { ٣٧ } حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ } { ٣٨ } وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ } [الزخرف: ٣٦-٣٩]. اهـ (الجنة والنار لعمر سليمان الأشقر **ر** بتصرف)

- ونقل ابن كثير **ر** في "تفسيره" عن سعيد الجريري أنه قال في الآيات السابقة: "بلغنا أن الكافر إذا بعث من قبره يوم القيامة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله - تبارك وتعالى - إلى النار، فذلك حين يقول: { يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ } [الزخرف: ٣٨]"

١٠- من صور العذاب المعنوي: أنهم يرون مكانهم في الجنة لو كانوا أحسنوا في الدنيا ويعرض عليهم بكرة وعشياً:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة **t** أن النبي **ر** قال:

"لا يدخل النار أحدٌ إلا أريَ مقعده من الجنة لو أحسن، ليكون عليه حسرة"

١١- من أعظم صور العذاب المعنوي لأهل النار: حرمانهم من رؤية وجه الله الكريم:

وهي صورة من صور العذاب لأهل النار، بل هي من أشد العذاب؛ حيث يحرمون هذه اللذة والتي هي ألد النعيم في جنة رب العالمين، يقول ذو النون: "والله ما طابت الجنة إلا برؤية وجهه"، لكن أهل النار حجبوا عن هذه المتعة، قال تعالى عن أهل النار: { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين: ١٥]

وكذلك يُحرمون من تكليمه لهم، إلا كلاماً يزيدهم عذاباً، ويحرمون من تزكياته لهم وتطهيرهم

قال تعالى: { وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [آل عمران: ٧٧]

- وجاء في "حلية الأولياء" (١/١) عن أبي عمران الجوني **ر** أنه قال: "لم ينظر الله تعالى إلى إنسان قط إلا رحمه، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم، ولكنه قضى أنه لا ينظر إليهم".

خلاصة ماسبق

ترى أخي الحبيب أن الناس في الدنيا مختلفين: فمنهم المؤمن والكافر، ومنهم الصالح والطالح، والكل في الظاهر سواء، يأكلون ويشربون وينامون ويعملون.

لكن على فراش الموت لا يستويان، فصنف مقرب مصان وهم أهل الإيمان، وصنف مُبعد مهان وهم أهل الكفران والعصيان، ففي هذه اللحظة يفترق الطريقان، ويظهر الفرقان ويتميز الفريقان فيصبحان صنفان...

• صنف تأتيه الملائكة في صورة حسنة وتُسَلِّم عليه عند خروج روحه، وتتأديه بأحسن أسمائه التي كان يُنادى بها في الدنيا، وتُبَشِّرُهُ بالروح والريحان، وجنة الرحمن، ولقاء الرب وهو غير غضبان.

- وصنف آخر تأتيه الملائكة في صورة مخيفة وتُبَشِّرُهُ بما يسوءه، وتضربه على وجهه ودبره بمقامع من حديد، وتقبض روحه في مسوح.

فَأَيُّ الصِّفِّينِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!

• صنف يقال له على فراش الموت: "يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، وتخرج روحه كما تسيل القطرة من فيّ السماء، وتخرج كأطيب ريح مسك وُجِدَتْ على وجه الأرض، وتقبضها الملائكة في حريرة، ويصعدون بها إلى السماء ويفتح لها أبواب السماء.

- وصنف يقال له: "يا أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتتفرَّق روحه في جسده؛ فتنتزع كما يُنتزع السفود من الصوف المبلول، فتتقطع معها العروق والعصب، وتخرج كأنتن جيفة وُجِدَتْ على وجه الأرض، ولا يفتح له أبواب السماء.

فَأَيُّ الصِّفِّينِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!

• صنف عندما يُحْمَل على الأعناق يقول: "قدموني قدموني لما يرى من السعادة والنعيم الذي ينتظره.

- وصنف يقول: "يا ويلها أين تذهبون بها، لما يرى من الشقاء والعذاب الذي ينتظره".

فَأَيُّ الصِّفِّينِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!

• صنف يقول له القبر عندما يدفن: "مرحباً وأهلاً، أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إليّ، فإذا وليتك اليوم فسترى صنيعي بك"، فيتسع له في قبره مد البصر.

- وصنف يقول له القبر عندما يدفن: "لا مرحباً ولا أهلاً، أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إليّ، فإذا وليتك اليوم وصرت إليّ، فسترى صنيعي بك، فيلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه.

فَأَيُّ الصِّفِّينِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!

- وصنف يأتيه منكر ونكير ويسألانه مَنْ ريك؟ فيقول: ربي الله، ما دينك؟ فيقول: ديني الاسلام، ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟، فيقول: هو محمد **ﷺ**، فيسمع أن صدقَ عبدي فأفرشوه من الجنة والبسوه من الجنة، فيُفتَح له باب الجنة ويأتيه من نعيمها.
- وصنف يسألانه الملكان: مَنْ ريك؟ ما دينك؟ ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ في كل مرة يقول: ها... ها لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطرقة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً، ويُفتَح له باب في النار، ويأتيه من حرّها وسمومها.

فَأَيُّ الصَّنَفِينَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!)

- صنف يُنَوِّر له في قبره، ويُفتَح له فيه باب إلى الجنة، ليأتيه من نعيمها وزهرتها، ويدخل عليه عمله متمثلاً في صورة رجل أبيض الوجه، حسن الثياب، طيب الرائحة ويبشره بما يجب.
- وصنف قبره عليه ظلمة، ويُفتَح له باب من النار ليأتيه من حرّها وسمومها، ويدخل عليه عمله متمثلاً في صورة رجل أسود الوجه، قبيح الثياب، نتن الرائحة، ويبشره بما يسوءه.

فَأَيُّ الصَّنَفِينَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!)

- وعندما نخرج من قبورنا، ونقوم جميعاً لرب العالمين، فهناك صنف يخرج من قبره طيب النفس نشيط، يشناق للقاء ربه.
- وهناك صنف آخر يقوم خبيث النفس كسلان، كالمصرع الذي يتخبَّطه الشيطان من المسّ، ولا يحب لقاء ربه.

فَأَيُّ الصَّنَفِينَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!)

- صنف يحشر يوم القيامة وهو راكب على النجائب، آمن مطمئن، أبيض الوجه، وقد أظله الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه، ويقف في أرض المحشر كمقدار ما بين صلاتي الظهر والعصر، ويأكل في أرض المحشر ويشرب.
- وصنف آخر يحشر يوم القيامة على وجهه أعمى وأبكم وأصم، أسود الوجه عابس، تعلوه غبرة، والشمس فوق رأسه بقدر ميل أو ميلين، ويكون في عرق بحسب ذنبه، ويقف في أرض المحشر خمسين ألف سنة بلا جلوس ولا طعام ولا شراب.

فَأَيُّ الصَّنَفِينَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!)

• صنف يأخذ كتابه بيمينه، فيفرح فرحاً شديداً، ويقول لكل من لقيه: **{ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهُ }** [الحاقة: ١٩]، وينعم بحياة طيبة راضية.

- وصنف آخر يأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، ويقول: **{ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ { ٢٥ } وَلَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِيَهُ { ٢٦ } يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ { ٢٧ } }** [الحاقة: ٢٥-٢٧]، فيتمنى موتة لا حياة بعدها، ثم يُأمر به إلى النار مغلولاً.

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونِ؟!!

• صنف ثَقَلَتْ موازينه فهو في عيشة راضية، وجنة عالية، قطوفها دانية.

- وصنف خَفَّتْ موازينه فَيَأْخُذُ به إلى نار حامية.

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونِ؟!!

• صنف يشرب في أرض المحشر من يد الحبيب **ر** شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

- وصنف آخر تحجزهم الملائكة وتمنعهم من الوصول إلى الحوض والشرب من يد النبي **ر**.

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونِ؟!!

• صنف يعطيه الله نوراً، ويمرُّ على الصراط كالطرف، أو كالمح البرق، أو كالريح، أو كأجاويد الخيل، أو كالركاب.

- وصنف يتخبَّط في الظلمات ليس له من نور، وتأخذه الكلايب، والخطاطيف وتلقي به في نار جهنم.

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونِ؟!!

• صنف أدخله الله الجَنَّةَ وأعدَّ له فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

- وصنف أدخله الله النار وأعدَّ له فيها من النكال والعذاب ما يشيب من هوله الولدان.

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونِ؟!!

• أما عن الطعام: صنف يأكل في الجَنَّةِ الفاكهة بجميع أنواعها، وهذه الفاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة، تدنو وتقترب منهم، ويأكلون كذلك اللحم بأنواعه، وكذا يأكلون زيادة كبد الحوت وهو أول طعام أهل الجَنَّةِ.

- وصنف طعامه الرَّقُومُ يغلي في البطون كغلي الحميم، وكذا يأكلون الضريع وهو نبات ذو شوك منتن، ويأكلون كذلك الغسلين وهو دم وصيد أهل النار.

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟!

• أما عن الشراب: فصنف يشرب الماء الغير آسن، ويشرب اللبن الذي لم يتغير طعمه، والخمر الخالية من الآفات والعيوب، فهي لذة للشاربين، **{ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُخَلَّدُونَ } { ١٧ } { بَأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ } { ١٨ } { لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزِفُونَ } [الواقعة: ١٧- ١٩]**، ويشربون كذلك الكافور، والزنجبيل، والتسنيم.

- وصنف آخر شرابه: المهل وبئس الشراب، فهو يشوي الوجوه من شدة حره، ويشربون الصديد وهو عصارة أهل النار، وكذا الحميم وهو الماء المغلي الذي قد بلغ أعلى درجات الغليان وتناهى حره، ويشربون كذلك الغساق، وهو الزمهرير البارد الذي يحرق من برده.

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونِ؟!)

• أما عن الملبس: فصنف يلبس السندس: وهو ما رقّ من الديباج والحريز، والاستبرق: وهو ما غلط منه، ولونه أخضر، وهو أحسن ألوان الحريز، فجمع الله لهم حسن المنظر، والتذاذ العين به.

- وصنف **{ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وَجُوهُهُمُ النَّارُ } و { قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ }**

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونِ؟!)

• أما عن حليهم: فصنف يتحلّون بأساور من ذهب، وفضة، ولؤلؤ، كما قال تعالى: **{ جَنَّاتٌ عِدْنٌ يُدْخِلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَكِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ } [فاطر: ٣٣]**، ويلبس تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها.

- وصنف آخر أعدّ الله له السلاسل والأغلال والقبور، تُجمَعُ يده إلى عنقه، وهذه القيود لون من ألوان العذاب، فهي تُقيّد الحركة، وترهق الجسد، وتذل النفس.

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونِ؟!)

• أما عن مساكنهم: فصنف يسكن في القصور والبيوت والمنازل، وقد قال النبي ٣: **"خلق الله الجنّة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك، وقال لها: تكلمي، فقالت قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك"**، وكذلك يسكنون خيمة مجوفة من لؤلؤ، طولها ستون ميلاً، وعرضها كذلك، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً، وله في الجنّة مثل الدنيا عشر مرات، وهذا يدل على سعة ملكه.

- وهناك صنف آخر يسكن كذلك في بيوت، ولكنها بيوت من نار، ويُحبسون في سجن ضيق يسمى (بؤلس)، ويلقي بهم في أودية مهلكة كـ (غي وسقر وويل)، ومع كون أهل الجنة لهم مثل الدنيا عشر مرات، فإن من أهل النار من يلقي في مكان ضيق لا يستطيع منه الحركة، كما قال تعالى:

{ وَإِذَا الْقَوْمُ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ بُورًا } [الفرقان: ١٣]

• **وأما عن فرشهم:** فصنف تفرش لهم الأرائك والسُرُر، متكئين عليها، يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب.

- وصنف لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش، فهم يفترشون النار، ويلتحفون بها، فالنار محدقة بهم من كل جانب، قال تعالى: { لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ } [الزمر: ١٦]

• **أما عن ظلمهم:** فصنف يكون في ظل الله، يوم لا ظل إلا ظله، وهذا الظل يمنح صاحبه البرد والطمأنينة والراحة.

- وصنف تصهره الشمس، فليس له الظل الذي يحميه من حرها، لكن له ظل من يحموم، يزيد عذابه فوق عذابه، كما قال تعالى: { وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ } { ٤٣ } { لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ } [الواقعة: ٤٣-٤٤]

• صنف حوله الحور العين، مشغول بجماعها، والاستمتاع بالنظر إليها، وقد قال النبي ر عنها كما عند البخاري: "ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض لأضاعت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها^(١) على رأسها خير من الدنيا وما فيها". فإذا كان الخمار خيراً من الدنيا وما فيها، فما بالك بالتي تلبس الخمار؟!.

وقد قال الله تعالى عن نساء أهل الجنة: { وَحُورٌ عِينٌ } { ٢٢ } { كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ } [الواقعة: ٢٢-٢٣]

- وصنف آخر من الناس حوله الحيات والأفاعي والعقارب تخدشه وتلسه، كما جاء في "مسند الإمام أحمد أن النبي ر قال: "إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت^(٢) تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة^(٣) تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة"

(الصحيحة: ١٤٦٥)

فَأَيُّ الصِّنْفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟! (١)

(١) ولنصيفها: النصيف هو الخمار.

(٢) البخت: وحدها "البختية"، وهي الناقة طويلة العنق ذات السنامين.

(٣) الموكفة: المحملة.

• صنف لا يسمع في الجنَّة ما يؤذيه، ويتنعم بما تُلذ الأذن سماعه: من تسييح الملائكة، وسماع داود U وهو يمجِّدُ رب العالمين، وغناء الحور العين، بل هناك سماع أعلى من هذا كله وهو سماع القرآن من الرحمن A.

- وصنف لا يسمع إلا ما يؤذيه من صراخ ومن مخاصمة ولعن، كما قال تعالى: **{كَلِمًا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا}** [الأعراف: ٣٨]، فيلعن بعضهم بعضاً، وكذلك يرجع بعضهم إلى بعض القول، ويتبرأ بعضهم من بعضٍ، فلا تسمع إلا صراخاً وعويلاً وأهاتٍ، والدعاء بالويل والثبور.

فَأَيُّ الصَّنِيفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟! (٢)

• وصنف يقول لهم رب العزة: "هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: أي شيء أفضل من ذلك؟، فيقول: أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً".

- وصنف آخر يقول لهم: "اخشئوا فيها ولا تكلمون"، ولا يرضى عنهم، ويحل عليهم سخطه وعذابه.

فَأَيُّ الصَّنِيفَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟! (٣)

• صنف يرزقه الله تعالى أعلى الكرمات، وأفضل العطيَّات، وأسمى الهبات، وأقصى الأمنيات، وهي الغاية التي لا يتجاوز بعدها، وهي المنتهى الذي ليس بعده شيء، وهي المتعة واللذة والنعيم الذي يتضاءل عنده أي نعيم، وأي لذة، ألا وهي رؤية وجه الله الكريم، فما أعطي أهل الجنَّة شيئاً أحب إليهم من النظر إلى الله تعالى.

- وصنف حُرِمَ لذة النظر إلى وجه الكريم ومُنِعَ من هذا النعيم، قال تعالى عن هذا الصنف: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُورُونَ}** [المطففين: ١٥]، فوالله ما تعذب أهل النار بعذاب أشد من حجبهم عن رؤية وجه الله U.

• فالإنسان في هذه الحياة الدنيا يستطيع أن يختار من أي الصنفين يحب أن يكون؟، لكن بعد الموت لا اختيار، فلا هو إلى دنياه عائد ولا في حسناته زائد، فلا تُؤثِّر أخِي الحبيب الفاني على الباقي، والنفيس على الخسيس، والدنيا على الآخرة، فكل منهما بنون، فكن من أبناء الآخرة، ولا تكن من أبناء الدنيا؛ فتسلم وتغنم.

يا ليت شعري بعد الموت ما الدار؟
يرضي الإله وإن خالفت.. فالنار
فاختر لنفسك أي الدار تشاء

الموت بابٌ وكلُّ الناس داخله
الدار جنَّةٌ خلدٍ إن عملت بما
هما محلان ما للناس غيرهما

أخي في الله... أعتذر إن كان في كلامي تخويف أو تعنيف، ولكن الأمر كما قيل للحسن البصري: **"يا أبا سعيد كيف نصنع؟ نجالس أقواماً يُخَوِّفُونَا، حتى تكاد قلوبنا أن تطير، فقال: والله إنك إن تخالط أقواماً يُخَوِّفُونَك في الدنيا حتى يدركك الأمن في الآخرة، خير لك من أن تصحب أقواماً يُأْمَنُوك في الدنيا حتى يدركك الخوف في الآخرة".**

(أخرجه أبو نعيم في "الحلية": ١٥٠/٢)

- وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة **t** عن النبي قال **r**: **قال الله تعالى: "وعزتي لا أجمع على عبي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة"**

• وأخيراً أختتم بهذا الكلام القيم لابن القيم **r** حيث قال:

"ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رعوسهم، فإذا علم الجنّة قد رُفِع لهم فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لاعين رأيت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في أبدٍ لا يزول، ولا ينفذ بصباة عيش، وإنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، مشوب بالنَّعْص^(١)، ممزوج بالغُصَّص^(٢)، وإن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سرَّ يوماً أحزن شهوراً، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف مسراته، أوله مخاوف وآخره متالف، فيا عجباً من سفيه في صورة حلیم، ومعتوه في سلاح عاقل، أثر الحظ الفاني الخسيس، على الحظ الباقي، وباع جنّة عرضها السموات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات، والبلبيات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان^(٣) ضيقة آخرها الخراب واليوار، وأبكاراً عرباً أتراباً كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وهوراً مقصورات في الخيام بخبيثات مسييات بين الأنام، وأنهاراً من خمرٍ لذة للشاربين، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم، وسماع الخطاب من الرحمن، بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت واليزرجد يوم المزيد، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادي: يا أهل الجنّة، إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا، وتحياوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا^(٤) له، وتشبوا فلا تهرموا بغناء المغنين.

(١) مشوب بالنَّعْص: مخلوط بما يكرر أمره.

(٢) ممزوج بالغُصَّص: مخلوط بما يقف في حلقه فلا يكاد يسيغه، والمراد من ذلك كله أن لذات الحياة الدنيا ليست خالصة، وإنما يخالطها دائماً ما يكرها.

(٣) أعطان: جمع "عطن" وهو مبرك الإبل، ومريض الغنم عند الماء.

(٤) تظعنوا: ظعن ظُفناً وظُفُوناً: أي سار وارتحل.

وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حشر المُتَّفُونَ إلى الرحمن وفدأً، وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً، ونادى المنادي على رعوس الشهداء: ليعلمن أهل الموقف مَنْ أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن هذه الفرقة ما أعد الله لهم من الإكرام، وادّخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفي لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن، ولا خطر على قلب بشر، لعلم أي بضاعة أضاع، وإنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع، وعلم أن القوم قد توسّطوا ملكاً كبيراً لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال.

فهم في روضات الجنّة يتقلّبون، وعلى أسرّتها تحت الحجال يجلسون، وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكئون، وبالبحور العين يتتعمّون، وبأنواع الثمار يتفكّهون، ويطوف عليهم ولدان مخلدون، بأكواب وأباريق وكأس من معين، لا يصدّعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وحمور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاءً بما كانوا يعملون، ويطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون، تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد، فما قلب ولا استام^(١) إلا أفراد من العباد، فواعجباً لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها، وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قرّ للمشتاق القرار دون معانقة أبقارها، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت^(٢) عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المُعرضين؟

تنبيه:

ها قد انتهت هذه السلسلة المباركة (الدار الآخرة)، أسأل الله لها القبول، وأودُّ أن أنبّه أن حقوق الطبع غير محفوظة، فمن أراد أن يطبع هذه السلسلة على صورة كتاب لينتفع به المسلمون؛ فله ذلك، وله الأجر والثواب من الله تعالى، وأسأل الله لي ولكم الإخلاص في القول والعمل، وفي السر والعلن، وأن يجنبنا الرياء والزلل..... آمين

(١) فما قلب ولا استام: فما نظر في هذه السلعة ولا سأل عن ثمنها، يعني الجنّة.

(٢) صدفت: أعرضت.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسرّ جمعه في هذه الرسالة
نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبّلها منّا بقبول حسن، كما أسأله | أن ينفع بها
مؤلفها وقارئها، ومن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني
ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب،
فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي
وإن وجدت العيب فسد الخلا
جلّ من لا عيب فيه وعلا
فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك